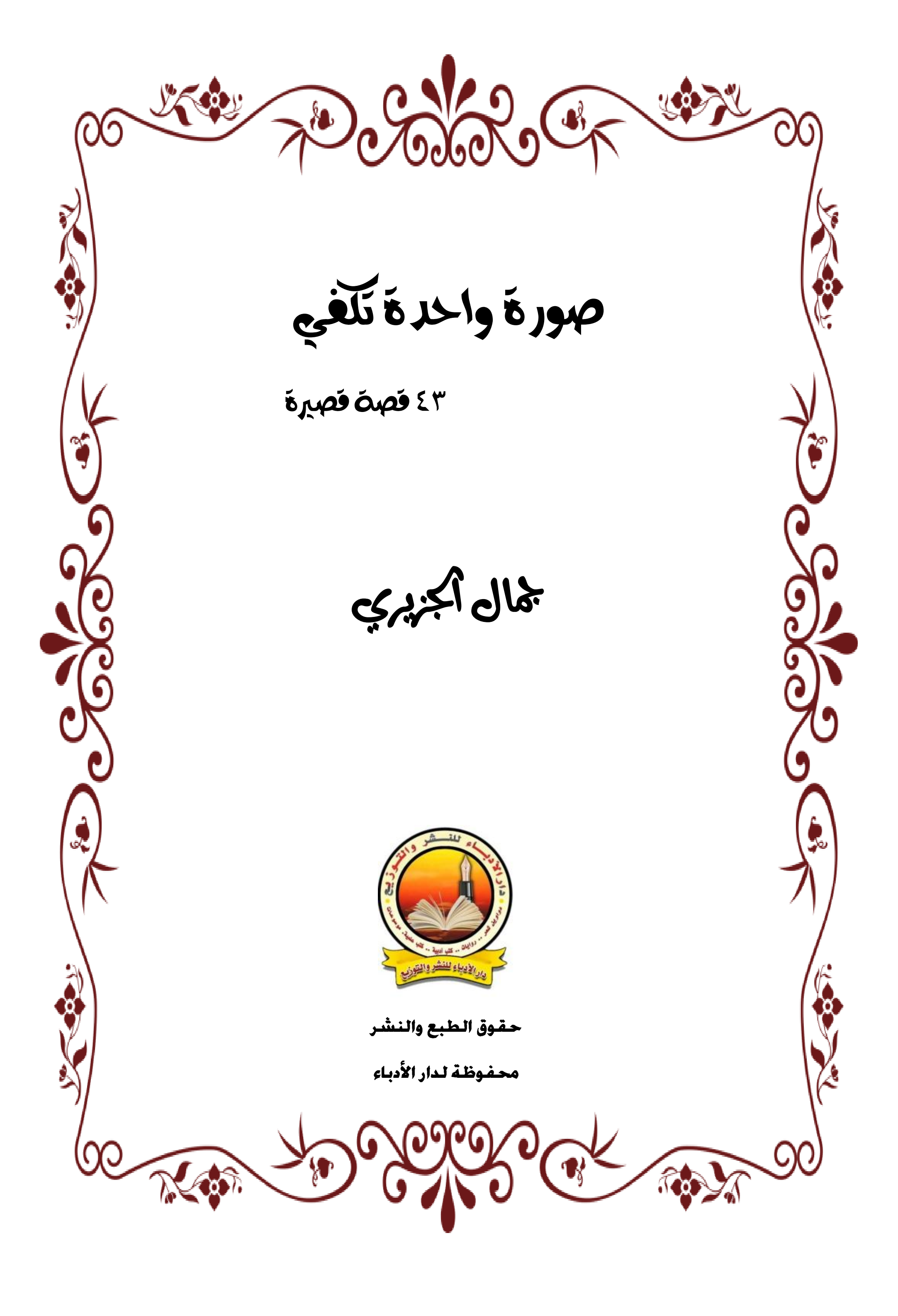


صورة واحدة تكفي

٤٣ قصة قصيرة

جمال الجزيري

اسم الدار	دار الأدباء للنشر والتوزيع
اسم الديوان	صورة واحدة تكفي
اسم المؤلف	جمال الجزيري
رقم الإيداع	(٢٠١٨/٣٧١٩) بدار الكتب المصرية
الإخراج الفني	(بداية ـ عادل كامل)
الغلاف	من تصميمات الدار



أملٌ يتحرّشُ بأوجاعِها

١- سرابُ الفيضانِ

بعيونٍ يملأها الأُرقُ والضجرُ وجفافُ الجسدِ وصراعُ السرابِ، ركّزتْ على تلك الجالسة بالشارع تشير لها وتقول لها:

- ارمِ بياضَكِ.

رمتْه. لكن الجالسة لم تقتنع وقالتْ:

- كيف يفيضُ البياضُ في التشقُّقاتِ وجنيهاتُكِ لا تقوى على الفيضان؟

نظرتْ بأمل في عينيها قائلةً:

- إن كان الفيضانُ قادمًا، فلا أبخل عليه بشيء.
- إذنْ أعطِنِي قطعةَ ذهبٍ وستفيضين ويفيض.

أحسَّتْ بأن تلك المرأة تستغلُّ أملَها الوليدَ، فأخذتْ رأسها **وقالتْ:**

- ليس لديّ ذهبٌ.

زمجرت الجالسةُ بالشارع وافترقا. وعندما عادتْ إلى البيت وجدتْ ذهبَها ترابًا، فنظرتْ من الشرفة تبحثُ في جميع الاتجاهات دون أن تعثر عيناها على أثرٍ لتلك التي كانت جالسة.



٢- مرآة

بمباغَتَةٍ ودون معرفةٍ أوقفتْها في الشارع. أمسكتْ بيدها. نظرتْ في عينيها وقالت لها:

- تركتِ الورقةَ قبل أن تنزلي دون أن تكملي الجملةَ. معكِ ألفان من الجنيهاتِ ولا تعرفين كيف سيمرُّ الشهرُ. تذهبين الآن إلى مطعم "أبو يوسف" لتشتري سندوتشات فول وبعدها ستشترين زبادي من محل البقالة الذي بأول الشارع. كنتِ تتحسَّسين السرابَ في جسدٍ لم يبتل وكان زوجك يتحسس المطرَ في عامودٍ لا يمطرُ. تفكرين الآن في....

وقبل أن تكمل كلامها، قاطعتْها بأن أمسكتْ بحجرٍ من على الأرض ورمتْها به كي تكسر المرآة التي تكشف كلَّ شيء. اقتادها المارة إلى قسم الشرطة وابتعدوا فارين من مرآة تلك المرأة النازفة.

٣-ذهول

نادتْها امرأةٌ لا تعرفها. قالتْ:

- لا بأس. ربما كانت في حاجة إلى مساعدةٍ.

تقدَّمتْ نحوها. سلَّمتْ عليها. لم تتركِ المرأةُ يدَها. نظرتْ مباشرةً في عينيها وكأنها تسحب منها بعضَ البياناتِ. وعندما تكلَّمتْ، كانتْ كمنْ رفعتَ مرآةً أمامَ وجهِها أو كمن فتحتْ

سجلاتِ رقيبٍ وعتيدٍ. كل شيء بالتفصيل كأن الجسد ليس موجودًا وكأن الذاكرةَ سُرِقَتْ بياناتُها بالكامل. أخفتْ المرآة فجأة أو توقَّف لسانُها، ثم سحبتْ يدها وهي تستمتع بالذهولِ الذي يستولي على وجه الواقفة أمامها. قالتْ لها:

- لا تقلقي. بيدي الحلُّ. أفعلي ... و... وتدفعي.... مقابل مجهودي ومجهود معاوني.

استغفرتِ السيدة ربَّها وجرتْ مبتعدة عن تلك المرأة ومرآتها وسجلاتها.

٤- استجارة

اضطربتْ عندما راودها الأملُ عن أوجاعها. ظهرتْ لحظاتُها حولها كبصرٍ يصير حديدًا. فنظرتْ إلى السماء في رجاء قائلة:

- إلهي لا أستجيرُ إلا بك.

وزجرتِ الأملَ الذي يتحرَّشُ بأوجاعها.

٥- انفراج

فتحَتِ الشرفةَ أملا في الانفراجِ. تأمَّلَتِ الصبحَ الذي يتنفَّسُ. وسَّعَتْ رئتيها بنفسٍ عميقٍ. ابتسمتْ ابتسامةَ رضى بالرغم مما يُثقِلُ قلبها ورأسَها، مستبشرةً بما قد يأتي الآنَ أو غدًا.

(٣ و٧ فبراير ٢٠١٤)



الْمَكَانُ الصِّفْرُ

عندما سطا الظلام فجأة على المكان، هتفتُ باسمه:

- يا عادل.

لكنه لم يرد بالرغم من أنه كان معي منذ ثوان يحدثني عن تصوراته وكلانا يدين الإرهاب.

- أين أنت؟

رد عليَّ الصمت. حاولت أن أتحسس المكان حولي. اكتشفتُ أن خارطة المكان تلاشت من رأسي فجأة ولم أستطع أن أكوِّن عنه صورة واحدة في ذهني. عندما حركت قدمي لأضعها على ما كنت أعرفه طريقا، وجدتُها غاصتْ في الرمل، فسحبتُها على الفور كي لا تبتلعني الرمالُ. جربتْ قدمي كل الخطوات إلى أن وجدتُ نقطة صلبة وتمسكتُ بها. صرخ صوتٌ فجأة، قائلا:

- يا ظالم.

استغربتُ الصوت الذي لم أسمعه من قبل، لكنه عندما تردد صداه في أذني عدة مرات تبينت فيه صوت عادل الذي كان معي قبل أن يسطو الظلام على المكان. استغربتُ من أنه يخاطب أحدا، فقبل الظلام لم يكن معنا أحد. ووجدتُ صوته يقول:



- نعم أنت. لا تندهش! أكلمك أنت.

ازدادتْ حيرتي وحاولتُ أن أرد عليه، لكن صوتي خانني في تلك اللحظة. عاد صوته من جديد مستجوبا:

- أتعتقد أنني لا أراك؟!

ما بال هذا المجنون يتحدث عن الرؤية وسط الظلام الكثيــف! لكن كلامه سرَّب خوفا بدأتُ أحسُّ به في ارتعاش يديَّ. عاودَ مخاطبتَه لي:

- هذه هي نهايتك. فلو تحركت خطوة واحدة ستغرق في بحر رمالي.

تمكَّن الخوفُ منِّي فعلا، وبــدأتُ أحــسُّ بقشــعريرة حقيقيــة تجتاحني. ولكنني حاولت أن أتغلب على خوفي ولو قليلا حتى أستطيع التفكير: ما الذي يدعوه إلى كل هذا الكــلام والتهديــد والضغينة المباغتة؟ أذكر أننا كنا نتبادل وجهات النظر علــى هامش المؤتمر لا أكثر، ولم تكن بيننا عداوة أو تــوتر. قطــع تفكيري بصوته الذي بدا متضخما ويشْغل كلَّ شيء حولي:

- لا تراوغْ ولا تلفِّقْ التبريرات.

أأنا أراوغ؟ وأي تبريرات تلك التي يتكلم عنها؟ لا أذكــر إلا الأسباب التي كنت أسوقها لدعم وجهة نظري ولا شيءَ غيرها.

كما أنه عبَّر لي عن اقتناعه بهذه الأسباب. ترجرج صوته فجأة كأنه يضع أمام فمه آلافَ مكبرات الصوت:

- أتعتقد أنك ستفوز عليَّ؟ دخول الجنة أقرب لـك يـا دافـع الرشوة.

إما أن أكون أنا نائما وأحلم أو يكون هـذا الصـوت صـوتَ شيطانٍ رجيمٍ. لا أعرف ما يتحدث عنه. لم أُخْرِجْ من جيبـي اليوم جنيها واحدا إلا عندما دعوته لتناول القهوة علـى أحـد المقاهي القريبة، ولا يوجد بيني وبينه إلا رابطة الإنسانية التي تجمعنا. هل كرمي رشوة؟ ولمَ أرشوه أصلا؟ كنـا كصـديقين قديمين نتبادل الحكايات والذكريات بالرغم من أننا لـم نلتـق لأول مرة إلا بالأمس عندما تعرَّفنا. انهالت عليَّ الحجارة فجأة، وكان صوته يصاحبها كموسيقى تصويرية تُضَاعِفُ الإحساسَ بالرعب أو الغدر.

- أعرف خصالكم. تحتكرون كل شيء. فلتحتملوا حجارتي.

وأخذت الحجارة تتضاعف وأنا لا أعرف كيف أُلَمْلِـمُ الـدماءَ التي طفقت تنز من جسمي. تمنَّيتُ أن أكـون فـي كـابوس، وأخذتُ أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. لكن شيئا لم يتغيـر. ظلَّت الحجارة تُلقى عليَّ كأنها ترجمني، وظلَّ صوتُه يتردد في أرجاء المكان لِيُسْمِعَ كل الآذان لو كان هناك أحد غيرنا خارج

هذا المكان العجيب الذي تحوَّل فجأة من مكان حوار إلى مكان رَجْمٍ. كنت أرى نجوما تهيم على وجهها في السماء، لكن نورها لم يصل منه شيء إليَّ. تذكرت قصيدة[١] كتبتها عن بُعْدِها عنِّي آلاف السنوات الضوئية ونصيحتها التي وجَّهتها لي بأن أسارع الخطى ولكن زمني تحوَّل صفرا. أدركت أنها لن تصل إليَّ، وأن الزمن الصفر اقترن بالمكان الصفر، وأنني الآن لا أستطيع أن أغادر مكاني، وصوتي يضيع وسط شوشرة مكبرات الصوت التي توزِّع صوت ذلك العادل في كل الاتجاهات، وأنا وحدي لا يسمعني أحد، ولا يدع لي عادل فرصةً لأن يتسرَّبَ صوتي من بين أصواته المتكاثرة.

أدركتُ أن الوضع لو استمر على هذه الحال سأفقد سمعي وعقلي في أقرب وقت بالتأكيد. تذكرت أحد الأتقياء الذي نصحه الطبيب بأن يبتر ساقه فطلب منه أن يبترها أثناء الصلاة لأنه سيكون في كامل تركيزه وخشوعه ولن يحسَّ بالبتر. لكنني لم أكن على وضوء ولم أستطع التيمُّمَ وكانت خريطة المكان مطموسة الملامح في ذهني وسط هذا الظلام. رفعت يدي في الظلام وعاودتني لحظات الحميمية. أخذت أدعو الله. وجدتُ صوتي مازال محتبسا، لكنني حمدت الله أنه

[١] قصيدة "مسافات ضوئية"، قصيدة للمؤلف.

يعلم ما في سري. حمدته كثيرا ودعوته أن يحفظ لي اتزاني وسلامتي النفسية والعقلية. اللهم سامحني إن كنتُ أخطأت خطأ لم أشعر به أو كنتُ نسيتُ شيئا أو شككت يوما في عنايتك. اللهم إنك تعلم أنني قد أجهل الكثير وربما لا أحيط علما بتصرفي في حينه إلا بعد أن أسترجعه وأتدبره عندما أحاسب نفسي. اللهم لا تأخذني بذنب غيري. اللهم إنِّي لا أحمل تجاه الكل إلا المحبة والأخوة. اللهم إنني لا أستطيع أن أغيِّر ما يحس به غيري نحوي، لكنني أسألك أن تحفظني من ضغينة لا أعرف سببها....

وجدت صوتي يخطو نحو أذني. سمعته خافتا في البداية، لكنه كان واضحا. شكرت الله كثيرا لاستجابة دعائي. وجدت النجوم تفتح سَدَّ أشعتِها، وأحسستُ بنور خفيف بدأ يدبُّ في المكان. كما أنني وجدت أن أصوات عادل بدأت حــدَّتُها تخــفُّ. لم تتلاشَ، لكن أصواته لم تعد تصل أذني كَطَرَقات رجال أمن في الظلام بعد منتصف الليل على باب خشبي يكاد ينهار أمام الخبطات الثقيلة. أحسست بأن أذني صارت أقوى من الأول، وأنها تصد نبرات صوته في تحدٍّ واضح كحارس مرمى جبَّار تحتكر يده الكرة ولا تدعها تمر إلى شباكه مطلقا.

نظرت إلى النجوم التي بدأ ضوؤها ينتشر وإن كان خافتا. لـم أعرف إن كانت نظرتي لها ساعتها نظـرة عتـاب أم نظـرة محبة. تَلَوْتُ عليها قصيدتي. وجدتُ أن صوتي بدأ يظهر أكثر وتتحدد أبعادُه. حاولت أن أتذكَّر باقي قصائدي. وبالرغم مـن أنني لا أحفظ منها سطرا واحدا، وجدتُ نفسي أقـرأ قصـائد كثيرة كأنني ممسك بكل دواويني السابقة. وكلما قرأت قصـيدة وجدت أن النور أخذَ يدبٌّ في المكان، فيظهر شـعاعٌ هنـا أو شعاع هناك، فأخذتُ أندمج في القراءة، ووجدت نفسـي أقـرأ قصائد لم أكتبها، وكأنها خرجت على لساني فَرِحَـةً بصـوتي الذي بدأ يعلو. كلما أمعن لساني في ممارسة الحركة، ازدادت الأنوارُ حولي وبدأتْ معالمُ المكان تتضح. فَخَطَوْتُ خطوة ولم أجد قدمي تنغرز في الرمال. أخذت أكمـل إلقـاء قصـائدي وأخطو خطوة وراء خطوة. أبصرتُ عادل على مقربة منـي ينبح، لكنني نظرت إليه نظرة مشفقة وواصلت سيري، وبدأتْ خارطةُ المكان تتشكل في رأسي وإن بدت أكثر وضوحا.

٥ فبراير ٢٠١٠





مُفارَقة

عندما عرضتْ عليَّ نفسها بطريقة لا تدعو للَّـــبْسِ أو عـــدم الفهم، نظرتُ إليها نظرة تتظاهر بأنها عابرة وسألتُها:

- ما الذي يمكن أن تقدميه لي؟ وما الذي يمكن أن أقدمه لك؟

أحسستُ بمباشرة السؤال ونفعيته أو على الأقل الانطباع السيئ الذي يمكن أن يُستشف منه، فطرحته بصيغة أكثر إيجابية:

- ما الذي يمكن أن تضيفيه لي وما الذي يمكن أن أضيفه لك؟

وعندما أحسستُ بأن هذه الصيغة أيضـــا يمكـــن أن تجـــرح شعورها وتعطيها انطباعا بأنها لا يمكن أن تضيف شيئا لأحد، وهذا عكس ثراء شخصيتها، بدأتُ بالشق الخاص بي:

- ما الذي يمكن أن أضيفه لك؟

تحسستْ جسدها كأنها تدعو نظري إليه قائلة في لمحة تستدعي أحد نقاشاتنا عن إحدى الروايات:

- أنا المادة وأنت الروح.

تذكَّرتُ كلامي السابق معها بعدم الفصل بين مثل هذه الأشياء، فالمادة بها جزء من الروح والروح بها جزء من المـــادة، ولا يمكن أن يكون أحدهما خالصا تماما أو أن يعيشا بمعزل عـــن بعضهما، فقلتُ لها بخبث يحاول أن يلفت انتباهها:

- ولكنني بي مادتي. صحيح أن رأسي مثقل، لكن جسمي لا سبيل أمامه لأن يُثْقَلَ.

لم أشأ أن أقول لها: فات أوان ثِقَلِه أو أنه الآن قطعة شطرنج أحركها كما أشاء – بالرغم من أني أدرك تماما أن حركة قطعة الشطرنج ليست خاضعة ليد محرِّكها، بل لقوانين اللعبة والوضع النسبي لها بين القطع الأخرى ومدى مصدر تهديد هذه القطعة أو خضوعها لتهديد مماثل، وما إلى ذلك من احتمالات.

صمتتْ طويلا وأخذت تنظر إليَّ. رأيتُ دمعة تحاول أن تفرَّ من سجنها أو تفرَّ إلى خدها، أو رأيتُ انكسارا لا يودُّ أن يطل عليَّ من خلف عينها ورأيت بسمة مُرَّةً تتأرجح على شفتيها، ربما كانت من كلامها، وربما من كلامي، وربما كانت لألم يعتصر داخلها أو مفارقة على وشك الحدوث. تذكَّرتُ كلامنا السابق عن المفارقة وتبينتُ في ملامحها مفارقة وأن كلامنا كله يوشك أن يلج المفارقةَ من أوسع أبوابها.

أخفضتْ نظرها قليلا أو أن عينيها حادتا عن طريق نظرتي، وأخذت تعبث بعصبية في حقيبة يدها، ثم قالت كأنها تكلم شخصا آخر أو تلقي بكلماتها للمجهول:

- انظرْ، أنا لا أخفي عليك، أنا امرأة ثلاثينية. لا تستغرب أن أكشف لك عن عمري صراحة. وحيدة أنا، وأخشى أن أموت في وحدتي. لا تظنني أتباهى بنفسي، لكنني أصونها إلى حد القلق، وجسدي ظامئ ومبادئي لا تقبل الارتواء المعوجَّ. هل سأموت بدون رجل يحترمني وأحترمه، يعشقني وأعشقه؟ هل ستظل قصتي ناقصة إلى ما لا نهاية، ولا وجه لأي احتمال؟ حياة الناس مليئة بالأحداث وأنا حياتي مهملة، مغفلة من الحدث، مغفلة من الحوار في غرفتي. أمرٌّ كأنني طيف لا يراه أحد، وأنظر كأنني لا يفصلني أي شيء عن هذا العالم. تعبتُ، تعبتُ كثيرا. أحس بأن جسدي فكرة لم تتحقق، احتمال لم يدخل مسكن الوجود أو يقترب الوجودُ منه، وأن روحي جسد يموت جوعا وعطشا.

توقفتْ لتمسح دمعة تسربت إلى طرف أنفها، ثم أكملتْ قائلة:

- أنا آسفة، آسفة جدا. لا أدرى لماذا أتكلم معك هكذا، لا أدري لماذا أفتح قلبي أصلا وأتكلم عن أشياء مهملة، أشياء لا يحس بها أحد ولا يقترب منها أحد.

كفَّتْ عن العبث بحقيبتها ووضعتها على المنضدة، قائلة بحسرة أو تهديد أو سخرية:

- ولماذا أنا هكذا؟!

وسكتتْ فجأة. كان سؤالُها كلماتٍ خارج السياق. ما المقصـــود منه؟ لستُ أدري. أتتكلم عن جلوسها معي وفيضان أسرارها؟ أتتكلم عن حياتها، عن وجودها، عن تركيبتها النفســية، عــن أحاسيسها المجهضة؟ لم أستطع أن أحدد شيئا، لكنه كان سؤالا مفعما بالمعاني، مفعما بالأحاسيس، كان سؤالا صادقا إلى حــد الوجع وكنت عاجزا: لم أستطع أن أفعل شيئا. كنت قد أخــذت عهدا على نفسي بأن أتزوج امرأة واحدة، وكانــت زوجتــي مازالت ترافقني حياتي. نعم. كانت مازالت؟ أم أنني تخيلتهــا ماتت وفتحت احتمالا آخر لحياتي؟ كانت أحاســيس ســوداء تنفجر أحيانا في لحظات خلوتي أو صمتي أو عيني الحــائرة، عيني المراوِغة، وكانت أَوْجُهُ الاحتمالِ تتعدد، لكن ذلك كــان على مستوى اللاوعي. كان وعيي كاملا بزوجتي وبوجودهــا وبإكمالها لحياتي الناقصة فعلا بدونها.

نظرت من عامي الستين إلى تلك الثلاثينية نظرة غامضة أنــا شخصيا لم أستطع أن أحدد معناها: هل تحمل الــرفض؟ هــل تحمل القبول؟ هل تحمل القبول المشروط؟ كانت نظرة مفعمــة كسؤالها، وكنتُ عاجزا بالرغم من أنني كان بإمكاني أن أفعل شيئا. قلت لها:

- انظري. أنا لن أقلَّ صراحة عن صراحتك. ماذا يفعل رجل أوشك على الستين بامرأة، آسف، لامرأة في بداية الثلاثينـــات؟ ماذا يفعل؟ هل أمنحك قبلة وأتركك تستعرين؟ حتى وظيفيـــا لا أستطيع أن أقدم لك شيئا. فأنا لا أستطيع أن أبني علاقة مع أحد على مصلحة وبالتالي لن أطلب من أحد شيئا. تعــرفين أننـــي متزوج وأبنائي في مثل سنك، وبنتي الكبرى أكبر منك سنا. لا أخفي عليكِ، كلامك هذا يفتح لي باب احتمال لم أكن أضعه في حسباني أو لم أفكر فيه جديا من قبل. لكنه سيغلق احتمالا آخر، زوجتي لن تقبل بوجود أحد آخر في حياتي، أحد قد يجيء بعد أربعين سنة من الألم والعثرات والفرح وينال كل شيء جاهزا، آلامنا عشناها لحظة بلحظة، وأفراحنا عشناها بالتدريج كي لا تنفلت أو تتلاشى. قد يكون كلامي إنشائيا. لا تنظري هكـــذا. ربما يفتحُ كلامُكِ هذا بابَ احتمالٍ لم أفكر فيه جديا، احتمال أن أحيا حياة أخرى، أن أغيِّر مساري، ولو قلـــيلا، كنـــوع مـــن التجديد، لكنه في نفس الوقت يغلق باب احتمالٍ أصليٍّ. زوجتي لن تقبل أن يأتي أحد ليستولي على أربعين عامـــا مـــن الألـــم والعثرات والفرح الخجول، أن يستولي على المرح واللحظات التي لا تنسى والذكريات المقيمة بالمكان والزمان. وأنا شخصيا لا أستطيع أن أغدرَ بها بعد كل هذه السنين. ربما لـــو كانـــت

امرأة غيرها ما كانت احتملتني أصلا. من يحتمل رجلا يعشق كتابا ويختلي بتفكيره وكتاباته بالساعات الطوال؟

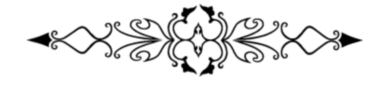
كنت أنظر إليها بطرف عينيَّ كي أتبيَّن أثر كلامي عليها. كان وجهها كسحابة متعددة الكثافات والألوان، يتغير مع كل نبرة جديدة في كلامي، وكانت بسمتها المحترقة تقطِّع قلبي كألمٍ ليس له حدود. ربما شعرتُ بسادية عندما وجدتُني أُعجب بذلك الحزن الذي يزيدها جمالا، عندما رأيتُني أُعجب بها وبحزنها وبألمها المكنون، لكنني سرعان ما تنبهتُ إلى أنني كنت أتعامل معها كحالة فنية وليست كإنسانة من لحم ودم، وأدركت أنني أرفض الفكرة، فكرة الحالة الفنية أو العمل الفني، قد أُعجب به في وقت، لكنني في وقت آخر قد أمزقه أو ألقيه عندما تزول أسباب الإعجاب أو تتلاشى الغشاوة أو أغيِّر منظوري أو تتجدد رؤيتي للحياة.

كنت متألما، كنت متحسرا، كنت كالواقف إحساسه على سلَّم لا يهبط منه إلى الشارع بكل انفتاحه واحتمالاته ووعوده، ولا يصعد منه إلى شقة وبيت محدد الأركان وأنفاس تهب المكان روحا والزمان قيمة إضافية، كنتُ حالة فنية، ولكنني عندما رجعت إلى البيت ودخلت في حالتي الفنية الأخرى، خرجتُ أو دخلتُ، لم أعد أستطيع التفريق بين اللوحات، واقعٌ بتاريخ

طويل وخيالٌ بتاريخ طويل، واقعٌ يريد أن يتشكَّل، خيالٌ يضفي ثراءً، لكنني كنت أرفض الفكرة لموقف أيـديولوجي مسـبق، ولذلك أهدرتُ احتمالا، ولذلك استثمرتُ احتمـالا، ومـا بـين الاحتمالين طريق تطول، طريق كنتُها، طريق وجسد مبدد هو روح المكان وتاريخ جسدين كادا يتشابهان من ثراء الألفـة... تاريخ أحاسيسي المتعددة الثرية...

لم أتمكن أن أفعل لها شيئا سوى أن أدخل حالتها الفنيـة فـي نَصٍّ يؤطرها ويجمِّدها ويجعلها لوحة متاحة للتأمل في جميـع الأوقات. أحسستُ بأنني قاسٍ إلى حد الصنعة، وأننـي متبلـد الإحساس إلى حد الرعب. لكنني للغرابة لم أوقف قلمي، وكنت أنتشي بكل كلمة جديدة أصف بها شـعورها أو ملمحـا مـن ملامحها.

٢٢ نوفمبر، ١٥-١٦ ديسمبر ٢٠١٠





محرّضون بحبِّ الوطن

أسرعتْ إلى المسجد بالجسد النازف عندما وجدت النيرانَ تُطلقُ في جميع الاتجاهات وكذلك الأسلحة البيضاء تُغرزُ في أي موضع من الأجساد بعشوائية محترفة. خطر هاجس برأسها:

- ربما كانوا يعسكرون في المسجد أيضا.

لكنها طردتْ هذا الهاجس واستبشرتْ بإسراعها التلقائي منذ البداية نحو المسجد. فلابد أن حركتَها التلقائية دليلٌ وعلامةٌ.

- سأسعفه بما في جيوبي من إسعافات أولية، وربما كان بالمسجد مستشفى ميداني..

قالتْ لنفسها مطمئِنَةً، بالرغم من أن مطاردة أصحابِ الأزياء لها من المستشفى الموجود بالميدان لا تبشِّر بالإبقاء على أي مستشفى هنا أو هناك.

علا صوت الأذان فجأة، وإن كانت نبرة صوت المؤذن مرتعشة قليلا. لم تكف الطلقاتُ ولا صيحات الإرهاب ولا صرخات الفزع. لم يكن أمامها سوى الاتجاه نحو الباب المفتوح مرحِّبًا، فربما كان من بين المصلين أطباء آخرون احتموا بالمسجد قبلها.

هزَّتْ رأسَها كي تتأكد مما ترى: أصحاب الأزياء واقفون على يمينها في قمة تيقُّظِهم وعلى يسارها وأمامها عشرات بل مئات الأشخاص من رجال ونساء تكسوهم الدماء والقيود والملابس الممزقة. رسمتْ على وجهها ملامحَ حياد تكتم أنفاس الامتعاض والاشمئزاز. صرحتْ طالبة المساعدة:

- الرجل يموت.

لم يسرع لنجدتها أحد. أخرجت شاشها وقطنها من جيوبها وأخذت تضمد الجراح. سمعت صوت حركة أجزاء سلاح. رفعتْ رأسها. أشارت لها عيون المقيَّدين ورموشهم كأنهم يحذرونها من شيء ما. قبل أن تفهم الرسالة أو تفكَّ شفرتها، وجدت صاحبَ زِيٍّ يمسك بيدها فجأة، قائلا:

- ماذا تفعلين يا...؟

ووصفها بكلمة تتهمها في شرفها، وقبل أن تستوعب الكلام بمنطقها الإنساني البسيط، صوَّب السلاحَ نحوها مباشرة:

- قفي يا بنت الـــ... أجئتِ لتداوي القتلة والمخربين؟!

تدلَّتْ يدُ الرجلِ ولم تحتمل أنفاسُه الكلامَ الخانق، فصعدتْ إلى السماء مودِّعةً.

- أنتم الذين قتلتموه. ذنبه في رقبتكم.

- قفي وإلا أطلقتُ النار على رأسك مباشرة. ستأخذين حسابك على هذه الاتهامات وهذا التطاول.

وقفتْ متمنِّيةً أن يكون بيديها كل بارود العالم حتى تبيد ذلك صاحبَ ذلك الزيّ الغبي الذي يجسِّد الغباء والإهانة والاتهامات التي لا أساس لها. اقترب منها بزيِّه عندما وقفتْ. مد يده نحو يدها. غيَّرَ الملامح المتجهمة على وجهه، ثم خلع خاتمها وقال:

- هذا يعجبني.

دسَّه في جيبه ثم نادى على زميل له كأن شيئا لم يحدث:

- تعالَ يا سعيد. ستكمل شبكة خطيبتك. ها هي السلسلة الناقصة.

خلع سعيد السلسلة من رقبتها، وقال لها بابتسامة خجولة:

- شكرا يا آنسة.

كانت ملامحها لا تستوعب شيئا كأن صدمة عصبية أو تبلدا مؤقتا حلَّ بها وجعلها تقف ذاهلة كأنها في عالم آخر. أقبل نحوهم صاحبُ زيٍّ آخر. نظر إلى الهاتف الذي بيدها وقال:

- أريني هذا الهاتف. هو النوع الذي أبحث عنه بالضبط. خمس هواتف حتى الآن ولم يعجبني منها شيء.

ناداه كبيرُه، وقال له مازحا:

- هذا الهاتف بكاميرا يا سيد. سنفرُغ ما عليه من فيديوهات ورسائل وأرقام وبعدها يمكنك أن تأخذه.

أشار لها "الكبير" بأن تذهب إليه. ولكنه عندما رأى غزارة الدماء على البالطو الذي ترتديه، نظر إليها نظرة طويلة أوقفتْها في مكانها، وطلب من صاحب زيٍّ يقف بجواره أن يذهب إليها. سألها الضابط عن بطاقتها. نظر إلى البطاقة مستغربا كأنه يشك في وجودها بالأساس، وقال بصوت عال:

- فاطمة جرجس وطبيبة!!

أعطاها البطاقة في صمت. ولكنها عندما همَّت بالانصراف نحو الأشخاص المُحْتَجَزِين، نادى على شخص آخر:

- يا دكتور، تعالَ اكشف عليها لنرى إن كانت عذراء أم.........

وأشار بيده بحركة تكمل باقي الجملة. لكن أوامر صدرتْ لأصحاب الأزياء بأن يخلعوا ستراتهم ويصعد بعضُهم إلى مئذنة المسجد ويفتح بعضهم الآخر نوافذ المسجد بمواربة ويبدءوا في إطلاق النار، فالكاميرات جاهزة بالخارج للتصوير على الهواء مباشرة....

وما إن دوت الصرخات بالخارج من كل اتجاه وملأت كل الآذان وأسرعت بعض الوجوه نحو المسجد، أغلق أصحابُ الأزياء النوافذ، وكل منهم يمزق ملابس الآخر...

تسابقت كاميرات التليفزيون الرسمي للتركيز على مناظر الدماء على الأزياء. انطلقت زغاريد بالخارج أمام الكاميرات احتفالا بسقوط وكر الأعداء واستعادة هيبةٍ تكتُمُ أنفاسَ المحرِّضين بحب الوطن.

٩-١٥ مايو ٢٠١٢



تشخيصٌ مُفَارِقٌ

وصفَ لي طبيب العيون نظارتين. لم يعرف أنني استغنيتُ عن عينيّ. خذلتاني قبل إصابتهما وقدَّمتا لي نظراتٍ ليستْ لها علاقة بما كنتُ أرى. اتخذتُ من عشقي للسرد عيونا: أتوغَّلُ في منظور هذا الحاكي وأقارنه بمنظور حاكٍ آخر لنفس الموقف، فأبصرُ ما بين المنظورات وما خلفها بعيون ولَّدتْها غواية السرد وحكمتُه.

حدَّثتُ الطبيبُ في ذلك. قال لي:

- نظرُكَ قصيرٌ وعدستُكَ قاصرةٌ. هذه نظَّارةٌ تقرأُ بها، وهذه نظَّارة ترى بها. وفي المرة القادمة سأكتب لك مواصفات نظَّارتين: نظَّارة تأكل بها ونظَّارة تمارس بها الجنس.

ابتسمتُ له ابتسامة بلهاء، شاكرا له علمه الهادر ودقة رؤيته وتشخيصه المتميّز لعالَم البصر.

انصرفتُ هامسًا بعبارات ظننتُ أن بإمكانِها أن تكون روحًا تؤرِّقه وتؤرِّق عيادتَه الحديثة ومواعيدَه المتأخِّرَةَ وتحرِّر عينيه من قيود نظرِه.

(٨ أكتوبر ٢٠١٤)



"من أنتَ؟"

بعد طول صداقة ربما كانت اسمية على الصفحات الافتراضية، سألني:

- مِنْ أين أنتَ؟

ابتسمتُ ابتسامة تدَّعي السماحة أو العفوية بالرغم من أنني أدركُ أنه لن يراها أو تظهرَ في الكتابة على الشاشة وقلتُ له:

- هل تهمُّ الإجابة؟

سألتُه بالرغم من أنني أضع كل بياناتي على صفحتي وبالرغم من أنه مادام يكتب معي في الدردشة الآن فلابد أنه يعرف القراءة. صمتَ قليلا، فبالرغم من أنه قرأ سؤالي، لا يوجد ما يدل على أنه يكتب شيئا. هل كان يريد أن يتعرَّف عليَّ أكثر ولكنه خانه السؤال أم أنه كان يُشكِّكُ في هويتي أصلا؟ لا توجد بيانات على صفحته، ولم أقبل إضافته إلا عندما وجدت بعض الأصدقاء المشتركين بيننا، أصدقاء أعرفهم جيدا بعيدا عن الفيسبوك وأعزُّهم، بالرغم من أن أحدهم مات، وربما لهذا السبب خصيصا أضفتُه. كان قد مات اختناقا بالغاز الكثيف في عملية غير إنسانية حتى ولو تصادف وجوده في مكان "مشبوه" من وجهة نظر "الأمن". قبلته لأن علاقتي بصديقي المغدور به دفعتني لأن أصادق كل أصدقائه. لكنني عندما سألته عنهم

اتضح أنه لا يعرفهم وقال لي إنه أرسل لهم طلبات صداقة فقبلوها.

لم أقل له إنني قبلتُه كإنسان بلا بيانات جغرافيا على صفحته أو أنني قرأت كتابا لكاتب أسترالي ينصح الكتاب بقبول كل طلبات الصداقة على الفيسبوك حتى يكونوا ناجحين. ولم أقل له بعد سؤاله هذا إن الإنسان لابد أن يتجسد كإنسان وإلا أخرجه تنكّرُه، وكتبتُ له على الفور:

- من أنتَ؟

وأتبعتُها بعشرات علامات الاستفهام، وهنا بدأ مؤشر الكتابة يظهر ويختفي دون أن يصلني ردٌّ، لكنني أحسستُ بالحرج من أن أحذفه من قائمة الأصدقاء، فقليل من الجواسيس لا يضر.

٢ ديسمبر ٢٠١٣، ٢٠ يناير ٢٠١٤





أبواقُ الآذانِ

صوتان يدْوِيَانِ. تكاد طبلةُ أذني تنفجر. أتلفَّتُ في كل الاتجاهات: كل الوجوه تسير كأن أحدا لا يسمع شيئا، وكأنني مجنون وسط أناس يعرفون طريقهم جيدا. لا تهمهم نظرة الانكسار في أعينهم، لا تهمهم خطواتهم الواهنة، لا يهمهم الشعر الأبيض الذي يتناثر هنا وهناك على كل الرؤوس دون أن يفرِّق بين أعمارٍ، كأنه بارود مرشوش قابل للانفجار في أي وقت ليعصف بنا جميعا.

يكاد الجوع يُسقطني أرضا، وأرى تقطيبة الجوع الصامتة على كل الوجوه، لكن أحدا منهم لا يسمع دويًّا كأن الطريق مفروشة بالورود والأحلام واللؤلؤ. اتخذتُ موضعا يسمح لي بأن أكون أقرب إلى أكبر عدد من الوجوه علِّي أرى وجها مختلفا، علِّي أرى أحدا يحيد عن الطريق.

يختفي بعض الأشخاص ذات اليمين وذات اليسار كأنهم سقطوا في هوَّة بئر لا أراه. صوت ذات اليمين يصرخ بكلمة "إرهاب". صوت على الجانب الآخر يصرخ بكلمة "إرهاب"، ولكن بنبرة كأنها تردُّ على الصوت الأول وتتهمه بالتهمة ذاتها. تتباطأ خطوات الجميع كأن وقودهم أوشك على النفاد. تتخلى الرُّكَبُ عن عزيمتها، وتنبتُ مكان الآذان أبواقٌ نحاسية لتنتهي

كل أذن وكل بوقٍ بتلك الآلة النحاسية التي تشبه غطاءَ الحلَّةِ ولكنه غطاء مسطَّح، فيصطدم الغطاءان ببعضهما مع كل كلمة تصدر من ذات اليمين أو ذات اليسار بصورة متواصلة كأنها مشهد يُعاد تكراره على وقع كل كلمة.

أتحسس أذنيَّ: أجد بوقا صغيرا يعاندني، فألقي بنفسي إلى جانب الطريق. أجد يدا تسحبني لا أعرف إلى أين، لكنني على الأقل خلقتُ احتمالا ولو ضعيفا بأن الأذنين لن تجدا ما يغذِّي بوقيهما.

٢٦ ديسمبر ٢٠١٣





أبناءُ برُوتَسْ

شارة تعتلي برج المراقبة في المصنع. تَعُدُّ الأسلحةَ، ما يُصنع منها وما يُستورد. تقيس امتداد المدى. ترصد كل الميادين وما لها ما صدى، كأن البلاد كلها لعبةٌ ومزاجٌ دموي واتفاقٌ في المجالس المُحْكَمَةِ.

شارة تعد نِسْبَتَها وسنواتها القادمة التي ترمح في المدى. تبتسم. تدور حول المصنع. تبتهل لخطط مُحْكَمَةٍ. تبتسم لأياد عمياء، أياد ترتفع بالتحية والتأليه والحمل على الأعناق. ثم تأمر الشارة بإسدال الستار، وخلف الستار جدارٌ ولباسٌ من ألبسةِ المُدُنِ. تلقيه على نفسها. تتخفى به أو فيه، وتأمر برفع الستار. كل الكاميرات هنا، كل الصحف هنا. أقلام هنا. أقلام هناك. تمتلئ الشاشات بالتحية للباس. تمتلئ الشاشات بكاميرات هواتف تمتد لتلتقط صورا لها مع الشارة المتنكرة.

وفي الصباح تعلو الهتاف في الشوارع:

- اخترناك اخترناك. بَدْلَتُنَا لائقة عليك. اخترناك، اخترناك. أنت الأمين والعزيز والمأمون. غيرك الممثل والمندس والمأجور. اخترناك، اخترناك، فلا للبلد عَلَمٌ سواك، ولا للقِلَّةِ مُرَبٍّ سواك.

٢٧ سبتمبر ٢٠١١



شريان ووريد

سألني بعفوية:

- هل يدي تؤلمني أم أنه مجرد وهمٍ؟

نظرتُ إليه من جميع الاتجاهات وكأنني أشكِّكُ في سلامة عقله. لكنني أخذتُ أبتسم إلى أن أجد جوابا أرد به عليه. ما أعرفه عنه أنه في قمة العقل والإحساس والصراحة، خاصة عندما نجلس معا على المقهى ونتكشَّفُ. نظرتُ إلى يدي. أخذتُ أتمعن في كل عِرْقٍ من عروقها، في كل منبت شَعَرٍ، وكأنني أعاينها لأحدد ما إذا كان هناك أَلَمٌ فيها أم أنني أتوهم. نظرتُ إليه بابتسامة أكبر وقلتُ بلهجة العارف:

- هناك ألمٌ خفيفٌ، لكن يبدو أنه بسبب طول الإمساك بالقلم طوال الساعات الفائتة.

ولكنه قال إنه كان يكتب على الكمبيوتر ولم يمسك القلم هذا اليوم. وابتسم، ثم قهقه، ثم قام، ودون أن يعبأ بالجالسين على المقهى حولنا احتضنني، وكأنه لم يرني منذ أيام، أو كأنني لم أره منذ ساعات. ثم جلسنا وأخذنا نرتشف كوب الشاي الوحيد. ولمَّا سألني:

- هل أنت قاسٍ إلى هذا الحد؟

تذكرتُ كل مَنْ أسأتُ إليهم، كل من تجاهلتُهم أو تجاهلتُ أحاسيسَهم أو عاملتُهم ببرودٍ أو أفكاري التي تحلِّقُ في أفقٍ لا أستطيع أن أعاينه. تذكَّرْتُ نفسي. تذكرت ارتفاعي عن الأرض قليلا، وأني كنتُ أرفع عينيّ دائما في الأفق فلا أنظر أمامي أو تحت قدميّ.

لكنني لم أكابر، ورددتُ على سؤاله بنظرة مستكينة، وكأن عينيّ تعترفان بجرم لا يغتفر. كانت الاستكانة البادية فيهما تطلب الصفح والغفران.

مددت يدي له لأريه العلامات التي تركها القلم على أصابعي، فمدَّ يدَه وأراني العِرْقَ النافرَ الذي شدَّته الكتابة بالساعات على لوحة المفاتيح. تمادينا في الضحك إلى أن بدأت الأفكار ترسو على خيوط الأثير. تقاسمنا الخيط وأخذنا نتأمل المارَّةَ في انتظار أحد الأصدقاء.

١ مايو ٢٠٠٨





مباشرة الذوق

- السلام عليكم يا أستاذ (لم أعلِّق بالرغم من أنني بيَّنت لهم الفرق بين الدكتور والأستاذ أكثر من مرة من قبل).

- (محاولا أن أبدو مستيقظا) وعليكم السلام.

- كل عام وأنتم بخير.

- وأنت بالصحة والسلامة.

- عساك عرفتني!

- من؟

- أنا سامي.

- (ممتعضا في سري) أهلا يا سامي. أي خدمة؟

- قلتُ لا بد أنك استيقظتَ لتصلي الفجر.

- (لم أقل له أنني لم أستيقظ وتركتُ له نبرة صوتي ترشده إلى أنه أيقظني من النوم).

- أستدرِّس لنا مادة اللغة والثقافة (٢)؟

- لم نستلم الجداول بعد.

- رَسَبَ فيها سبعةُ طلاب الفصل الماضي غير الذين سحبوا المقرَّر.

- وما علاقتي أنا؟

- ألستَ من تضع جداول الاختبارات؟

- (لم أقل له: "وأين الاختبارات النهائية من بداية الفصل الدراسي؟"، لم أقل له: "وما علاقة المواد التي ندرِّسُها بالاختبارات؟"، لم أقل له: "ألم أقل لك إنني لم أستلمْ جدولي بعد؟"، لكنني قلتُ له متضايقا) أهذا وقت تتصل فيه يا سامي؟

- ألم تبدأ مباشرتكم للعمل أمس؟

- شكرا على ذوقك يا سامي.

- ألن تدرِّس مادة الأصوات.

- لم أباشر الاستيقاظ بعد.

- أنا جالس أسجِّل المواد على موقع الجامعة ...

- (أبعدتُ الهاتف عن أذني، محاولا أن أعيد تجميع شظايا نوم في فجر يوم لم يبدأ بعد، ودوامٍ تبقى على بدايته خمس ساعات على الأقل).

٥ سبتمبر ٢٠١١





عمّار

قال جازما وهو يسرح ببصره بعيدا كأنه يكشف لي عن سر دفين:

- لا أحد يستكين للظلام إلا إذا كان يعشق الخراب.

لم يعبأ بكلامي عندما قلت له:

- ليس شرطا.

واستطرد كأنه لم يسمعني أصلا:

- أو إذا كان قلبه خَرِبًا

كَبَحْتُ رغبتي في أن أتكلم بثقة ويقين لا يقل عن يقينه وأصدمه برأي يعاكس رأيه تماما، فالكون كله ،كما أعرفه، كان عماءً مطلَقا أو ظلاما جامحا أو ماء شاسعا، قبل أن يشكِّله الله، وقلت واضعا يدي على كتفه كي ألفت انتباهه وأجعله يستدير نحوي:

- ماذا تفعل عندما تكون تحت الدُّشّ؟

استغربَ سؤالي ووضع يده على رأسي ليتأكد إن كانت حرارتي مرتفعة أم لا. وعندما وجد حرارتي عادية، نظر إليَّ طويلا كأنه يستفسر عما أصابني. نظرتُ إليه بنصف ابتسامة لأؤكد له أن كل شيء عادي الآن. كررت عليه سؤالي:

- ماذا تفعل حينها؟

التفت إليَّ من جديد وقال:

- بالرغم من أنني أدرك تماما أنه سؤال تافه جدا ولا يصدر إلا عن مجنون أو معتوه إلا أنني سأجيبك: أمسكُ الصابونة وأغسلُ جسمي جيدا بها.

- فقط؟ (سألتُه طلبا للاستزادة ولحثه على الكشف عن مباهجه الأخرى.)

- نعم فقط، (قالها لي مؤكدا واستطرد)، قل لي أنت إذن ماذا تفعل؟

- أنا؟!

- نعم أنت.

- أنا أغمض عينيَّ وأستمتع بملمس الماء لشعري وجميع أنحاء جسمي. أستمتع بسخونة المياه، بتدفقها، بدغدغاتها، بهمساتها؛ وفي ظلام رموشي المسدلة أرى قصصا وقصائد.

لم يتمالك نفسه من الضحك قائلا:

- وما الذي يميزك عن الطفل الأهبل إذن؟

أحسست في كلامه نوعا من الإهانة، لكنني أحسست فيه غباء أكثر، لذلك لم أحتد عليه، واكتفيت بابتسامة ساخرة نوعا ما، وأكملت سخريتي بأن قلت له:

- لا شيء. لا يميزني عن الطفل شيء.

نظر إلى ساعة هاتفه ونهض فجأة كأن ثعبانا لدغه، قائلا:

- لا أريد أن أتأخر أكثر من ذلك. الشمس أوشكت على الغروب؛ ولا بد أن أصل إلى العمار في بيتي قبل أن يستولي الخراب على كل هذا الفضاء.

ودَّعتُه متمنيا أن يهنأ كل منا بعَمَارِه، وأخذتُ أتتبَّعُ أشعَّةَ الشمس الغاربة إلى أن انصرفتْ كلها، وتركتْني لسماء تتأرجح ما بين الحمرة والظلام ونجوم تتناثر هنا وهناك كقطيع غنم فقير لا يجد ما يكفيه فيتناثر وسط الرمال علَّه يجد شيئا.

وجدتُ يدي تمتد إلى هاتفي وتفتح جهاز التسجيل ووجدتُ القصيدة التي يتردد صداها في رأسي منذ أيام ولا تفارقني – وجدتُها تنتشي بخروجها على لساني في وسط الظلام كأنها في لحظة تخلُّق وانتشاء.

١٩ يناير ٢٠١٠





صديق قديم

أمسك يدي في خشونة وأشار بإصبعه نحوي مهددا:

- لا تقل لي إنك كنت عادلا.

ترك يدي فجأة، كما لو كان يلقيها على الأرض في تأفُّفٍ. ابتسمتُ ابتسامة حاولت جاهدا أن تخلو من السخرية كي لا أستفزه ويلتف الأطفال حولنا على هذه المقهى ليرجمونا بالحصى والاستخفاف. ربما أحَسَّ بالحرج من ابتسامتي، فلقد صمتَ تماما، ويبدو أنه كان يفكر في كلمات يعتذر بها لي. قلت له محرِّفًا كلمات نزار قباني في أغنية "ماذا أقول له" للمطربة نجاة الصغيرة:

- العدل في الأرض بعض من تخيُّلنا.

لم يبتسم أو يتجاوب مع مزاحي، بل خرج عن صمته فجأة ثائرا في وجهي:

- هكذا أنتم دوما أيها النقاد: تحرفون الكلم عن مواضعه.

ضحكتُ ضحكة خفيفة ولم أقل له مازحا: "وأنتم لا يتبعكم إلا الغاوون"، بل ربَّتُّ على كتفه محاولا أن أُشِيعَ جوا من المرح بيننا:

- اصمتْ! أتريد أن يسمع كلامك أحد المحتسبين المتشـــردين في الشوارع ويهلل لأنه وجد قضية يرفعها ويكسب من ورائها أموالا لا نملكها؟!

لكنه لم يتقبل مرحي في تلك اللحظة وعاد إلى تجهمه، ثم قال لي مازجا بين التهديد والاتهام:

- كيف تتحدث فقط عن ثلاث قصائد من قصائدي وأنا الـــذي نشرت سبعة دواوين حتى الآن؟

لم أشأ أن أقول له إنه لم يكتب إلا هذه القصائد مـــن وجهـــة نظري، ففيها ترك نفسه الشعرية على سجيتها، وباقي قصائده ألعاب لغوية ومسائل حسابية لا تولِّد إبداعا، لكنني قلت لــــه إن الكتاب يتناول الحركة الشعرية ككل وهناك عشرات الشــــعراء غيره. وما إن قلت له هذا الكلام حتى وقف منتفضا قائلا فـــي تحدٍّ وكبرياء:

- أنا الحركة.

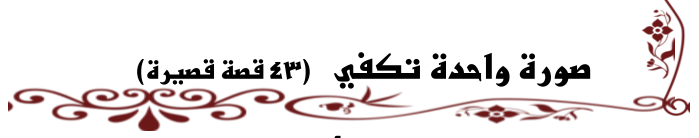
فنهضت مثله وأمسكتُ يده في خشونة وأنا أوجِّه نحوه إصبعي مهدِّدًا:

- لا تقل لي إنك الحركة.

فقال لي وهو يهم بالانصراف:

- أنا الحركة والحِراك، ألا ترى أنني أجسِّد كل المدارس الشعرية بداية من اليونانيين حتى قمة الحداثة على يد إليوت؟
أدركت أن الصدمة ربما ترجعه إلى صوابه، فقلت له على الفور:
- كيف تكون حداثيا وأنت تترك نفسك لتصير صورة مشوهة عن غيرك؟ كُنْ كما أنت، كما يقول فريد الأطرش، وساعتها تعالَ وحاسِبْني، هذا إن كان لك الحق في محاسبتي أصلا.
فرجع نحوي ثائرا وأمسك برقبتي قائلا:
- سأحاسبك. أنت تنكر الأصول صراحة ولن تُجدي استتابتُكَ.
وما إن أنهى اتهامه وتهديده حتى ألقى بي بكل قوته، وانصرف وهو يهدد بمقاضاتي لأنني هَوَّنْتُ من شأنِه وشأنِ الأصول، متوعدا بأن يفرِّق بيني وبين زوجتي التي أعتز بها في قصصي. قلتُ للوجوه المتسائلة حولي:
- حصل خير يا جماعة. صديق قديم ظروفه صعبة. ههههههههههههه
نهضتُ وعدتُ إلى جلستي لأكمل شرب كوب الشاي في صمت وتأمل، محاولا أن أمسح من ذاكرتي لقائي به الآن وأن أحصر صورته برأسي في قصائده الثلاث.

١٢ فبراير ٢٠١٠



خطأ ما

حدثَ خطأٌ بالتأكيد جعل أوراق اختبار مادة الترجمة تنفد قبل أن يحصل كل طالب على ورقته. لا بد أن الماكينة التي تعطَّلتْ ساعة التصوير راوغتْني في العدد، أو أنني لم أقرأ رقم النُّسخ التي تم تصويرها جيدا على شاشة الماكينة، وبالتالي قمتُ بتصوير نسخ أقل عددا على الماكينة الأخرى العادية البطيئة التي لا تصلح لتصوير أعداد كبيرة من ورق الأسئلة.

جاء أحد الطلاب متأخرا. أعطيته الورقة الأخيرة المتبقية له ولزملائه الذين لم يحضروا بعد، وطلبتُ منه أن يذهب إلى المكتبة الموجودة في نهاية الممر ليصوِّرَ لنفسه نسخة.

عاد قائلا:

- المكتبة مغلقة للصلاة.

بحثتُ في حقيبتي عن ورق فارغ، فلم أجد إلا ظَهْرَ ورقة زادت بالأمس من اختبار دورة اللغة الإنجليزية للمبتدئين. أعطيته إياها ليستخدم ظهرها كمسودة وحذَّرتُه من أن يكتب شيئا في ورقة الترجمة قبل أن تفتح المكتبة بابها. وجدته يترك ورقة اختباره ويبدأ في الإجابة على أسئلة ورقة المبتدئين. وعندما وجدني غاضبا، قال:

- أسئلتُها أسهلُ كثيرا من أسئلة اختبارنا.

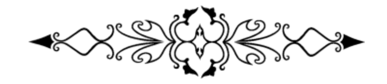
شطبتُ "إجابته" وقلبتُ له ظهر الورقة، مؤكِّدًا عليه من جديد أن يستخدمها كمسوَّدَةٍ إلى حين التصوير.

دُرتُ في القاعة سائلا الطلاب إن كانوا في حاجة إلى استفسار. وعندما عدتُ إليه، وجدته يقوم بترجمة النص في الفراغ تحته. أخرجتُ قلم المحو وضغطتُ بعصبية لأنفثَ السائل الأبيض على كتابته كي ترجع الصفحة بيضاء، طالبا منه أن يذهب إلى المكتبة ليرى إن كان العاملُ بها قد فرغ من الصلاة أم لا.

أعطيته الورقة ونقودا ليصوِّر نُسخا له ولزملائه.... أعطاني النسخ بهدوء غريب وطلب مني:

- تصدَّقْ علينا بنصف الدرجة. الامتحان صعب وأنا لا أعرف كيف أجيب على أي سؤال.

١٢ ديسمبر ٢٠١٠



ظَهْرٌ

- جاء الدكتور.
- اسمعْ ...
- ظهر رقم جوَّاله على جوَّالي.
- هل تريد أن تذهب؟
- لم تمضِ إلا ربع ساعة.
- أقول لك اسمعْ، لو فاتتك جلستنا بالكازينو، لا تَلُمْ إلا نفسكَ.
- يا شباب، نحضر المحاضرة ونذهب بعدها للكازينو.
- انتظرناه ربع ساعة. من يجلس ساعتين خلف دكتور يعطينا ظهرَه ويشرح مع نفسه ما يعرضه البروجكتور، وإن سألناه سؤالا عن شيء لا نفهمه، يقرأ لنا المعروض على الشاشة؟
- ها هو رقمه يظهر من جديد. لا أستطيع أن أتصل به. تجاوزتُ حدِّي الائتماني.
- ربما كانت سيارته تعطَّلَتْ مرة أخرى ويريد منكَ أن تصلحها له في ورشتكم.
- سأذهب إليه.
- ولِمَ الخوف؟
- الحرص واجب. سأقول له إن كل زملائي انصرفوا بعدما انتظروا، وسألحق بكم على الفور.

١٥ ديسمبر ٢٠١٠

رصيد قادم

- كل ما أريده منك أن تبحث عن عمل ثانٍ يكفيك.
- إني أبحث.
- كيف؟
- الوضع تغيَّر كثيرا منذ أن سافرتَ.
- بلدٌ يفوق عددُ مجلاتِها وجرائدِها عددَ من صوَّتوا في الانتخابات لا يمكن أن تخلو من عمل لصحفيٍّ نقابيٍّ.
- هناك أشياء كثيرة متاحة.
- ولِمَ لا تستغلها؟
- الاستغلال للفُرص، وهذه ليستْ فُرصًا.
- كيف؟
- أتريدني أن أعمل بخمسمائة جنيه وأصرف عليها مواصلات ومشروبات وسندوتشات سبعمائة جنيه على الأقل؟
- حيَّرتني يا صديقي.
- بالمنطق لن أدفع من جيبي على عمل إضافي.
- وبالمنطق أيضا كيف تكفيك وظيفتك الأساسية؟
- أفكِّرُ في حل جذري خارج الصحافة تماما.
- الخروج مطلوب والمغامرة مطلوبة.
- كل ما أريده أن تسأل عني.
- إن... [لقد نفد رصيدكم. عليكم إعادة شحن البطاقة].

٢٦ ديسمبر ٢٠١٠



قدمٌ يُمنى

أحسستُ فجأة بأن قدمي اليمنى تتمرَّدُ علـــيَّ، تتمـــرد علـــى حركتها الطبيعية بين دوَّاسة البنزين ودوَّاسة الفرامل. كانت من قبل تنتقل تلقائيا حتى قبل أن أفكِّر في اتخاذ قرار الضغط على هذه أو تلك. كنتُ أفكِّر أثناء القيادة في الحياة البديلة أو العوالم الأخرى الممكنة بالنسبة لي. لكن يبدو أن قدمي سرقتْ فكرتي أو اتخذتْ قرارَ نقلِ العوالم الممكنة من حيِّز التفكير إلى حيِّـــز الفعل. عندما أقرِّر أن أدوس على الفرامل تدوس هـــي علـــى البنزين، والعكس كذلك. أو ربما رأتْ أن عوالمي البديلة بعيدة عنها، ولا تريدني أن أبتعد أو أفكِّر في الخروج على المألوف، أو أجدِّد حياتي بالصورة التي يرسمها لي خيالي.

اتجهتُ إلى أقصى اليمين في الشارع، لكن أصوات المنبِّهـــات الزاعقة انهالت عليَّ من الخلف. أحسستُ بأنني هالكٌ لا محالة، وأن قدمي اليمنى قررت أن تنتقم مني لسبب لا أعرفه، وربما ملَّتْ روتين القيادة وأحبَّتْ أن تقود السيارة كما يحلو لها.

تذكَّرتُ كلاما دينيا عن الأعضاء التي تشهد على صاحبها يوم القيامة. ونقلتْني هذه الفكرةُ إلى إمكان أنَّ قدمي ربما تنظر إليَّ على أنني أُسخِّرها أو أحتلُّها، وبالتالي تريد أن تحرِّرَ نفســها

مني. لم أستطع أن أربط بين ذلك والوحدة العضوية التي أسمع عنها كثيرا.

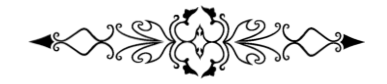
ضغطت على مفتاح إضاءة الانتظار حتى أعلن لمن ورائي أن هناك خطأ ما. حمدتُ الله أن يدي مازالت تحت سيطرتي. ابتسمتُ عندما خطرت كلمة "السيطرة" على بالي، خاصة مع ازدياد حالة التمرد وشعوري بأن قدمي ستتحرَّر تماما عني وتستقل بذاتها. لففتُ مقود السيارة نحو اليمين عند أول مخرج لخط الخدمات. وحمدتُ الله أن العربة القادمة على هذا الخط كانت مازالت بعيدة ورائي، كما أن ضوء الانتظار سينبِّهها للخلل.

تنبَّهتُ إلى أن قدمي بدأت تتخذ قراراتها من تلقاء نفسها حتى دون أن أفكر في أي شيء، فلم تكن تنتظرني حتى أتخذ قرارا وتتخذ هي عكسه. فقررتُ أن أوقف حركة قدمي تماما، خاصة وأن رجلي كانت مازالت لم تنضم إلى قدمي بعد. أبعدتُ رجلي للوراء بقدر ما يسمح به الفراغ أمام الكرسي. ومع ذلك أخذت قدمي تدوس هنا وهناك. أحسستُ بأن السيارة ذاتها تريد أن ترى دمائي نازفة، تراني صريعا، وكأنها تريد أن تسير بمقاعد خالية من أنفاس وحياة.

اكتفيتُ بحركة يدي. أعطيتُ إشارة اتجاه لليمين بالرغم من أنني لا أعرف إن كانت هذه الإشارة تعمل أصلا في ظل عمل إضاءة الانتظار أم لا. وخطر ببالي أن الإشارة اليمنى ربما تحالفت مع القدم اليمنى وبدلا من أن تضيء هي حوَّلت ضوءها إلى الإشارة اليسرى. كل شيء جائز في هذا الموقف، مادامت كلها تحالفات على حركة حياتي.

أسرعتُ بيدي نحو فرامل اليد، وأخذتُ أرفعها تدريجيا إلى أن تمكَّنتُ من الوصول إلى حافة الطريق الجانبي. نقلتُ يد ناقل السرعات إلى رمز الوقوف، وأطفأتُ السيارة قبل أن تفكِّر هي أيضا في فعل أي شيء لا يمكنني أن أتكهَّن به. وعندما هممتُ بالخروج من السيارة، وجدتُ قدمي تشدُّني إلى الدوَّاستين، وتتبادل الضغط عليهما، وكأنني لا وجود لي، وكأنها صارت مالكة السيارة الوحيدة. فسحبتُ نفسي بكلِّ قوةٍ واستبدادٍ. أغلقتُ باب السيارة، ووقفتُ أشير إلى أي سيارة أجرة قادمة.

٢٢ ديسمبر ٢٠١٠، ٢٢ مارس ٢٠١٢





مُزارع

ضوءُ كلوبٍ شدَّ انتباهي على الطريق الصحراوي الساكن في منتصف الليل. فحتى السيارات قليلة في هذا الوقت على الطريق. ولولا أنني أعشق سفر الليل ولا أتحمل ضوء الشمس في عيني، ما كنتُ سافرت في هذا البرد. توقَّفتُ. العربة محمَّلة بالبرتقال واليوسفي. رائحتهما منعشة. أنستْني الرائحةُ إلقاءَ السلامِ على الرجل الجالس على صخرة بجوار العربة، فعاجلت بتحيَّتِه. كنتُ على أي حال سأشتري فاكهة لأهلي عندما أصل، فعجَّلتُ بفكرة الشراء لأشتري من هذا الرجل، بدلا من تاجرٍ يعطيني ما "بات" عنده من فاكهة.

- أعانك الله على البرد.

- ماذا نفعل يا أستاذ؟ التجار يريدون أن يأخذوا عرَق أرضنا برخص التراب.

- هل أرضك قريبة من هنا؟

- أمشي ربع ساعة داخل هذه الصحراء.

- لماذا لم تستصلِحْ ما بجانب الطريق مادامت كلها صحراء؟

- هذه الأرض محجوزة يا أستاذ.

- ومن يحجزها إن كان لا يريد أن يستصلحها؟

- من يريد "تسقيعها".



- أينقصُ هذا الشتاءُ "تسقيعا"؟!

ضحك ضحكة صافية لمزاحي، ثم حمل القفصين اللذين اشتريتُهما منه. قبَّل ثمنهما قبل أن يضعه في جيب جلبابه.

تذكَّرتُ أبي عندما كنتُ بجواره وهو يبيع الخضار في السوق ويقبِّل النقود شاكرا الله قبل أن يضعها في جيبه....

شكرتُ الرجل متمنيا له الرزق الوفير والسعادة في الدنيا والآخرة. أبصرتُ فيه أبي ببشرته المتشققة من السهر لري الأرض في الشتاء، والذهاب للسوق فجرا لبيع الخضار. ترحَّمتُ على أبي، وسلَّمتُ على الرجل بحرارة، ولولا الغرابة لكنتُ احتضنته بشدة. أدرتُ محرِّك السيارة وانطلقتُ، مستكملا الاستماع إلى أغنية فيروز "سلِّم لي عليه".

٢٢ ديسمبر ٢٠١٠





ترجمة

جاء نحوي بينما كنتُ أخرج من باب الوحدة الصحية بالجامعة متحاملا على العكاز. قال:

- لولا خوفي عليك ما فاتحتُكَ في الموضوع. يقولون إنه ما كان عليك أن تأخذ أجازة مَرضيَّة.

صُدِمتُ من كلامه، ولولا أن بعض زملائي قالوا لي عنه إنه محترم ومهذَّب لكنتُ شككتُ في مدى مصداقية كلامه، فأنا لم آخذ أجازة مرضية اعتباطا، وكنتُ قد قطعتُ أجازتي المرضية السابقة فتضاعفتْ الآلامُ ولم يلتئم كسرُ العظام، وها هو ينقل كلامهم بأنني أتمارض والوحدة الصحية ذاتها هي التي منحتني الأجازة بناء على الفحوصات الطبية!! قلتُ له بهدوء شديد:

- قطعُ أجازتي المرضية السابقة هو الذي استدعى أن أحصل على أجازة أخرى. وأظن أن قطعَ الأجازة كان إثباتا لحسن النية.

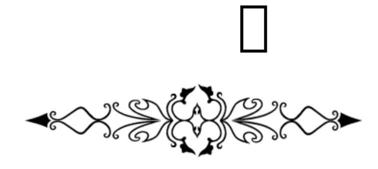
فقال لي بلهجة حانية نوعا ما:

- أرى العكاز وأرى مدى ألمِك. لكنهم بيدهم الأمر، وأنا بلَّغتُك.

أعطاني ملفا به بعض الأوراق طالبا مني أن أترجمها له، ثم استأذن منصرفا.

نظرتُ إلى الملف في يدي بذهول. ثم رفعتُ عينيَّ لأراه وهو يبتعد. أحسستُ بأنه نقطة غير مرئية، ورأيتُ المباني حولي ترتفع، وأنا لا أكاد أُرى بالرغم من أن الألم كان يتضاعف، وكأنه ينافس المباني حولي، فنظرتُ إلى قدمي بمواساة، واعدا إياها بأنني لن أتخلى عنها أبدا.

١٢ يناير ٢٠١١



شرائح

فيما تُعزِّينني بالضبط؟ في زوجي الذي راح دمُه رخيصا؟ أم في بنتي التي تفادتْ أنبوبةُ البوتجازِ الساقطةُ صدرَ أبيها وكسَّرتْ عظامَها؟ خذي هذه الطوبة اجلسي عليها. كما ترين، الأمطار لم تترك شبرا في البيت. وأنا أيضا كيف أصدِّق؟ الرجل عمل كل ما بيده. عندما اصطدمتْ عربة البوتجاز بـــ"عربية الجبل"، رأى البنات الثلاث أمامه في يد الموت. فَفَدَاهُنَّ بصدرِه. لكن الأنابيب كانت فاجرة. لم تكتفِ بصدر أبيهن، وانفلتتْ واحدة منها وضربتْ سارة. لم تقدِّرِ الأنابيبُ أحدًا. وحتى الشبُّورة يا أختي لم تقدِّر أناسا يجرون على لقمة عيشهم. نعم قَدَرٌ أخفُّ من قَدَرٍ. الرَّجُلُ كان يأخذ خمسة عشر جنيها وكل بنت خمسة من جمع البرتقال. ثلاثون جنيها تسند العيال وعَمَّيْهِم وجدَّهم وجدَّتَهن. لم يتبق غير العم المعاق، والعم الثاني ربنا يُرجع له عقله. كان ثروت يحمل مائة وعشرين طوبة على ظهره ويصعد بها لفرن الطوب في المصنع، وكان يكسب ما يسترنا. منذ أن أهلكه الطوب وهو يأخذ البنات معه للعمل في المَزَارع. الواحد أصبح دمه رخيصا ولحمه رخيصا. ما يحزُّ في قلبي أكثر هذه البنت المكسورة. كيف أُجَبِّرُ عظامها؟ وضعوا لها جبسا وتركوها في المستشفي

أسبوعا. قالوا لنا: "البنت تحتاج إلى تركيب شرائح في العظام والمستشفى لا تقدر على الشرائح". ماذا أقول لكِ؟ الواحدة لا تدرى إن كانت هذه بلدٌ أم لا. وحتى لو طالبتُ بعلاج ابنتي حتى العام القادم، لن يصل صوتي حتى إلى خارج هذه العِشَّة. الانكسار في عين الرجال لا يُحتمل. جدُّ العيالِ كبيرٌ لا يستطيع حتى أن يخرج من العشَّة، وعمَّاهُم كما تعرفين. وحتى لو أخرجتُ البنتين من المدرسة وظلتا تعملان طوال الأسبوع! أحسُّ بأنني مازلتُ أجري منذ ما سمعتُ الخبر المشؤوم ما بيت الترعة والعشَّة. أوقفيني يا أختي، أوقـــ...

١٢ يناير ٢٠١١



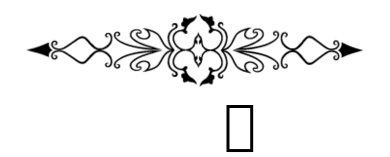


أعشاش النمل

هيا اصحَ يا محمد. "عربية الجبل" التي ستأخذكم لمزارع البرتقال متوقفة عند الترعة. لا. لن أدعك اليوم تذهب للمدرسة كما بالأمس. يوم للمدرسة ويوم للعمل. يا ولد، أبوك مات وتركنا في العشَّة. ألا تُحس بالأمطار التي أغرقت البيت؟ تعالَ هنا. لم أَتَعَشَّ أصلا حتى أجري وراءك. ساعدوني يا ناس. الولد يجري في العِزْبَة. لا يريد أن يذهب لجمع البرتقال. ومن أين نأكل أصلا؟ حتى العمل المُذِل لا أجدُه. يدُ ابني ولا اليد الغائبة. قف يا محمد. يا ابني، قدمي غرزت في الطين وصدري بدأ يطنُّ. لا أرى شيئا في الشَّبُّورة. أمسكْ معي الولد يا أبا جورج. الولد غريب جدا هذا الصباح، كأنه لا يذهب نصف الأسبوع لجمع البرتقال في تلك العزبة! هل كُتب عليَّ الشقاءُ وَوَجَعُ القلبِ؟ على الأقل الشقاء مكتوب على كل ناس العزبة، لكن وجع القلب مَنْ يحتمله؟ تعالَ ارفعْ أمَّكَ من الطين. صدري مليء بأعشاش نملٍ تنبشه كالغربان. يا ولد، ها نحن خرجنا من العزبة. ما عادت الأعشاش تسترنا. النمل بدأ يأكل في صدري. هواء الترعةِ والخلاءِ ثقيل. لماذا تعذِّب أمَّك يا ولدي؟ ها هي "عربية الجبل" ذهبت بدونك. قف يا عم السائق. ما صوت الارتطام هذا؟ استرْ يا رب... يا لخرابك يا عزبة!

صوت العيال يصرخون. أين أنت يا محمد؟ ردَّ عليَّ يا ابني. ردَّ عليَّ ولا تذهب. ملعون أبو الأكل. وهل سنموت لو بقينا يوما آخر بدون أكل؟ يا محمد. لا أستطيع الوقوف. يداي ورجلاي في الطين. النملُ "حَلَقَةُ زَارٍ" حولي يا ولدي. تعالَ يا ولـــ...

١٢ يناير ٢٠١١





زَهَق

قال لي بنبرة مُوجِعَة ومتوجِّعة في آن وكأنه يفاجئني:

– لا أملك شيئا ولن أخسر شيئا. سأسير في الأرض. وإن كان في التجارة تسعة أعشار الرزق، سأتاجر بأي شيء.

صمتَ عندما سرتْ قشعريرة في جسده وانتفض. أخذ يفكِّر، وربما شرد قليلا، ثم عاد يقول:

– لكنني لا أملك شيئا.

ثم استطرد ساخرا:

– ومادام لم يعد هناك شيء قابل للامتلاك، سأبيع نفسي لأول قبيلة تمنحني الدخول لآبارها وخيامها.

أدار الكرسي الذي يجلس عليه، وولَّى وجهه بعيدا نحو الشارع، كأنه يتحاشى لقاء نظراتنا، أو كأنه يحاول أن يُبصر شيئا بعيدا يتجاوز جدران العمارات التي تسدُّ أفق نظرنِا. حسدته من داخلي لأنه وحيدٌ وشريدٌ ولا تتعلق برقبتِه أفواهٌ.

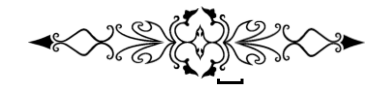
قطع أفكاري صوت عامل المقهى:

– للمرة الثالثة أجيء إليكما ولا تطلبان شيئا. إن لم تطلبا الآن، انهضا واذهبا بعيدا.



أبدينا غضبَنا، وكأننا نعترض على هذه المعاملة السيئة، وانصرفنا دون أن ندفع ثمن مشروبات سيكون أفضل لنا أن ندفعه ثمنا لغدائنا.

١٣ يناير ٢٠١١





رد اعتبار

قابلته صُدفةً في ندوة "تطوير النشر وردُّ اعتبار المؤلف بعد الثورة" بعد أكثر من عشر سنوات من توقيعي على العقد معه. تأكدتُ من اسمه أولا، كي لا تخدعني ملامحه أو أتوجه بكلامي إلى الشخص الخطأ. التفتُّ إليه بطرف عيني، قائلا:

- أهلا يا نصَّاب.

صُدِمَ وقال محتدًّا:

- من أنت؟ قلة الأدب هذه لا داعي لها.

كررتُ عليه كلامي بكل برود:

- أهلا يا نصَّاب. أستنْكُرُ؟ أين كتابي وأين نُسخي وأين حسابي؟

يبدو أنه بدأ يتذكَّر شيئا. فلقد قال لي بنبرة ودودة:

- معذرة ليس لدي وقت الآن للنقاش. ها هو كَارْتِي. اتصلْ بي ونلتقي لاحقا.

وسارع ليركب سيارته وينطلق بها.

التفتُّ إلى الكارت. كان خاليا من أية بيانات. كان كارتا فارغا يدل على غيابه، على هروبه، على مراوغته. وكان وقوفي شاهدا على كتاب ترجمتُه ونَشَرَهُ ولم أَرَهُ أو أستلمْ نُسخي أو أحصلْ في مقابله على جنيه واحد، شاهدا على عشر سنوات

أخرى ستمر وسيتجدد فيها العقد تلقائيا كل خمس سنوات بكل شروطه الجائرة؛ فليس لي فيه حق وعليَّ كل الحقــوق. فلقــد وقعته قبل قانون حقوق المؤلف وحقوق الملكية الفكرية، وهــا هي الحقوق تتحوَّل ضدي، فلا أنا أملك حق ترجمة ولا أعرف كيف أصل إلى ناشري لألغي العقد. وقفــتُ ذاهــلا حــائرا، وسرعان ما شرعت في الضحك بهستيرية على هذا "المقلــب" الذي شربته وأنا في كامل قواي العقلية.

١٦ أغسطس ٢٠١١



خطوة للأمام

قالت بنبرة جازمة ومتأملة كأنها تكشف سرا دفينا أو اكتشافا ظهر فجأة أمام بصيرتها:

- الحركة لم تكتمل.

نظرتْ إليها العيونُ مُستغرِبَةً. كانت كأنها تلقي كلامها على آذان لا تعرف لغتها. أكدتْ من جديد:

- الحركة لم تكتمل.

عندما انفتحت الأفواهُ وحملقت العيونُ كأن الكلام غريب فعلا وليس له معنى، أخذت تفسِّر كلامها:

- إذا صارت الحركة دائرية لن تكون حركة. الحركة خطوة في المكان تصاحبها خطوة على خط الزمن. لكنك إذا كانت حركتك دائرية، فإنك تلغي الزمن الذي قَطَعْتَهُ وربما يتحول هذا القطع إلى قطع لك أنت شخصيا.

صفَّق شاب في الخلف، لكن تصفيقه لم يجد صدى ولم يتبعه تصفيق من أحد. أشاح أحد الواقفين أمامها بيده كأنه يستهزئ بكلامها. صاح آخر:

- أينقصنا أن تعلِّق على حركتنا امرأة؟

قال ثالث:

- كَمْ دفعوا لكِ لتقولي هذا الكلام؟

استشاطتْ غضبا موجِّهة كلامها لذلك الأخير. لم يحرِّك رأسه بالإيجاب أو النفي. كررتْ عليه:

– أفهمتَ كلامي؟

وعندما لم تجد منه إجابة، أضافتْ:

– افهمْه وناقشْني فيه. ربما أكون على خطأ، وربما أبصـــرتَ أنتَ شيئا لم أبصره أنا، فَنُثْـــرِي حوارنـــا ونتـــدبَّر خطوتنـــا ومغزاها.

لكنه عاد وقال:

– دفعوا لكِ كم؟ خطواتنا حقَّقتْ مرادها وعلينـــا أن نتوقـــف ونترك مَنْ يفهم ويتحمل المسئولية يتصرف لصالحنا جميعا.

صفقتْ له معظم الأيادي، وخلع شخص منهم حذاءه ليلقيه نحو الفتاة. صرخ صوتُ الشاب الذي بالخلف. ضاعت صـــرخاته وسط الأحذية التي بدأت تتجاوب مع الحـــذاء الأول. مســـحتْ الفتاة دما انساب من خدِّها. أشارت للشاب. بدآ سويا يتقـــدمان بخطوات واثقة للأمام، بينما ظل الباقون يتحركون فيما يشـــبه حركة دائرية لجوقة على خشبة مسرح مهجور.

٣٠ سبتمبر ٢٠١١





جدول ضرب

جلس متوترا. أخذ ينظر للمارين أمام المقهى نظـــرة أقــرب للغضب. التفتَ نحوي، ويبدو أنه لم يستطع أن يرفع يده ليعبر بها عن شيء. قال غاضبا ومحتدا ومنكسرا في الوقــت ذاتــه كأنه يشعر بالخيبة:

- هل تتصور أنهم رجموني بالحجارة؟! ما إن صعدتُ علـــى المنصة وبدأتُ في الكلام حتى رموني بالحجارة والتُّهمِ. مـــنهم من قال: "أنت خائن"، من قال: "أنت لستَ من هنا"، من قـــال: "أنت تُشكِّكُ في مؤسسة عمرها سبعة آلاف عام"، من قال: "من تتكلم عنهم أشرف منك ومن أمثالك. أكدوها مرارا أنهم ليسوا طامعين في سلطة، وسيسلمونها بعد ستة أشهر". حاولــت أن أقول لهم إن الأشهر انتهت وستجد بعدها كل جدول الضـــرب الخاص بالعدد ٦، لكن حجارتهم كانت أسرع مـــن ألســـنتهم، ولولا أن فتاة كانت بالقرب من المنصـــة ضـــمَّدتْ جراحـــي وجعلتني أتكئ عليها إلى أن أخرجتني من الميدان، مـــا كنــتُ خرجتُ حيا.

زفرتُ دخان الشيشة وارتشفتُ رشفة من كوب الشاي قبل أن يبرد. ربَّتُّ على يده التي لم أكن أتصور أنها وصلت إلى هذه

الدرجة من الارتعاش. كاد قلبه يتوقف والدموع تهبط من عينيه كأنها تكفِّر عن ذنوب لا شأن له بها، بينما يقول:

- لا تستحق منا كل هذا العبث. لا تستحق منا هذا الرجوع. لا تستحق منا أن نقف لنُضْرَبَ بالحجارة ونحن لا نبغي غير وجه الله ووجهها.

وقبل أن يكمل كلامه أو يسمع تجاوبي، تدلَّتْ رأسُه على كتفه دون أن يعبأ أحد من المارة بنظرة الغضب، دون أن يعبأ بيده التي تجمدتْ وهي تشير إلى الشارع بأصابع أقرب للاتهام.

٣٠ سبتمبر ٢٠١١





الحزن العاري

"لماذا؟" سؤال طرحتْه ولم تكملْه أو تنفِّس عما في صدرها من أسئلة أخرى. ربما كانت تحسُّ بأن السياق كفيل بأن نفهم علامة استفهامها. عندما وجدتْنا واقفين متجمِّدين لا نستطيع أن نفعل شيئا والدموع متحجِّرة في عيوننا، رفعتْ يده بكل ما فيها من دماء وحياة مغدورة وأخذتْ تكرر السؤال وتكتظ عيناها بأسئلة أخرى وإجابات حائرة لا تعرف كيف تتصالح مع بعضها البعض: عين تسأل:

- حتى لو لم يكونوا هم، كيف سمحوا لذلك الغريب المتخفِّي؟

وعين تردُّ:

- لكن أزياءهم كما هي، وهم ليسوا صغارا أو يمكن أن يتركوا أحدا يتنكَّر في زيِّهم.

عين تسأل:

- لماذا في هذه المرة بالذات ينقضُّون علينا؟

وعين تردُّ السؤال بسؤال:

- ولماذا في المرات السابقة بنفس الذات؟

عين تسأل وعين ترد، عين تفضح وعين تكذِّب. عين تحتبس فيها قصيدة لا تكتمل:

في كل يوم أنا هناك

في كل يوم أنتظر ولا أراك

يدي ممدودة في الهواء

والهواء عاجز

نسماته تحترق بأنفاسي

وأنفاسي تحترق بنسماته

وعيني مشرَّدة في آفَاقٍ بَخيلة

يد لي تُرجع قلبا ينخلع لسرابك

ويد تلطم خدي وتكسح الدموع

في كل يوم أين أنا؟

والأرض من تحتي ترتجف

والسماء من فوقي ترتجف

وما بين السماء والأرض

عامود نار يَحْرِقُ ولا يطهِّر شيئا

في كل يوم تُغتَصَبُ دموعي

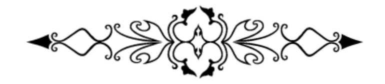
وحزني عارٍ لا يستر نفسه

لا يمتد له قرار...

أشارت لنا أن نقترب، أن نتحسَّس القلب الساكن، أن نلمس آثار جريمة لا تُحتمل. رمتْ نفسها في حض الدماء وأخذتْ

تتشمَّمها، تلعقها، تخضِّب بها يدها وتلصق بصمات الدماء على وجهها وعلى ملابسها، ونحن واقفون كالحجارة لا نستطيع أن نفعل شيئا، فكل ما في يدنا أن نخرج لنهتف في الشـــوارع، أن تُزهق أرواح دمائنا، فأخذنا نتأمل حزنها العاري، أخذنا نتأمل روحا تكشَّفت وكشفت عجزنا وثورتنا الباهتة.

١١-١٤ أكتوبر ٢٠١١





ثورة عذراء!

قالت: "يا ولدي لا تخرج".

مرَّرتْ نظرتَها كأن نغزة اجتاحت قلبها أو ألمًا غادرا لا تدري مصدره هجم عليها. وقف ابنها ذاهلا، فكل الدعوات تبشِّر بالخير، وكل القصائد على الشاشات قصائد ميلاد. قال لها:

- إنها الثورة يا أمي. من يغلق على نفسه بابه بعد الآن فهو جبان.

جلستْ على الكرسي دون أن يفارق نظرُها ابنَها، وقالتْ:

- ولأنها ثورة يا ولدي سيكون الانتقام أشدَّ، سيكون الغدر جارفا، سيكون التنكيل مُرهِبا. من تثور عليه الآن لا يعرف المزاح. لم يفعل شيئا من قبل أن تُولدَ حتى الآن. سيجرِّب الآن كلَّ أسلحته القديمة.

- ولكن شهورا مضت يا أمي والثورة غابتْ. كل هذه المناظر ألعاب أطفالٍ الآن.

أمسكتْ بيده متوسِّلة:

- لن يكون لك وجه. لن يكون لك حق. لن يكون لك صوت، فها هي الثورة تحوَّلتْ إلى وجوه ووجوه، إلى حقوق وحقوق، إلى أصوات وأصوات، وأنا يا ابني ليس لي غيرك، فمن يصبِّرني على الأيام الشؤم القادمة؟

قبَّل يدها، ثم فتح الباب في هدوء كأنها نائمـــة ولا يريـــد أن يوقظها...

انتبهتْ على صوت رصاص. خرجتْ من نظرتهـــا الشـــاردة فزعةً. نهضت من الكرسي، لكن قدميها لم تحتملاها، فجلستْ وهي تنظر نظرةَ فزعٍ نحو الباب: لا تستطيع أن تتحـــرك ولا تريد أن تعرف من المقتول. لكنها تمتمتْ كأنها تناجي نفسها:

- من مات كأنه يشعل شمعة لصورة الثورة العذراء.

وانخرطت في عدُّودَةٍ بلا انقطاع كان صداها يتردد في الشـــقة ويمتد كأنه أذان لصلاة حان وقتُها.

١٩ نوفمبر ٢٠١١





جيل التفثُّح

تساءلتُ وأنا أكاد أضرب كفًّا بكفٍّ وأحوِّل بسمتي الساخرة إلى قهقهة قد تُلفتُ الأنظار وتشير نحوي الأصابعُ بالجنون:

- هل الزمن يتحرَّك للأمام فقط؟ هل يقف على الحياد من جميع الأطراف والأشخاص؟ هل ينظر بغضب إلى جيل المستقبل ربما لأن الزمن ذاته مطرود أو مطارَدٌ ولا تسكنه إلا لحظة حنين ولَّتْ وماعداها سخط على ما بعدها أو على الأقل منذ لحظة الطرد والمطاردة؟

لم أستطع الإجابة، لكنني وأنا أجلس أمام الشاشة لأنصت إلى خطاب أنتظره أدرك المفارقةَ بين جيل الحكمة التي بين قوسين وجيل البصيرة. كيف لزمن أن يضع ساترا نَسَجَه من حروفه أمام البصائر المستعملَة؟

كان الصوت يتكلم عن أشياء ليس لها وجود، ينفي أشياء موجودة فعلا لمستُها بيدي، رأيتُها بعيني، استنشقتُ سموم غازاتها وجُرِحَتْ يدي برصاصِها. لكن معظم من هم في عمر صاحب الصوت كانوا يهللون وكانوا يصفقون للبراعة والإنجاز والحكمة المتقطِّرة. ولكنني عندما أمسكتُ الريموت وانتقلتُ إلى شاشة تعرض بثًّا مسجلا لنفس المكان الذي كنتُ

فيه وأشرتُ إلى الدماء وإلى الاختناقات وإلى الأجساد الساقطة على الأرض، صاحوا جميعا مذعورين:

- أهذه مناظر تنتقل إليها بعد هذا الخطاب الجليل؟

نهضتُ مبتعدا. نظرتُ للزمن بسخرية قائلا له:

- ما الذي يجعلك تلهث الآن؟ ألم تكن منذ لحظات ترفرف فوق رؤوس الحكماء كطائر حط عليها وهم ينظرون مذهولين مشدوهين إلى كبيرهم الذي علَّمهم السحر فسحرهم هم شخصيا؟

لكنه لم يرد على سؤالي. أمسكتُ بجناحه قلقا:

- لماذا تلهث الآن؟ هل ستذهب إلى أولئك الذين لم يتفتَّحوا بعد لتوقفَ تفتُّحَهم أو تنقل إليهم خبرة الحكماء؟

نظر إليَّ محتدًّا ساخطا مستعليا، لكنني أبصرتُ في قاع عينيه دمعة محبوسة، فجريتُ إلى الميدان لأسجل صوتي، أصنع بيدي، أنقل حركتي للأمام، حتى لا يستطيع أحد أن يوقف تفتُّحًا أو يدسَّ الستائرَ في عيون جيل سيجيء.

٢٥ نوفمبر ٢٠١١





وعودُ الزهو

عندما انتبَه إلى بوادر الظلام، نظر إلى ساعته متوجِّسًا. كانت عقاربُها تشير إلى منتصف النهار ولم تكن متوقِّفةً، فعقرب الثواني يدور دورته العادية أمام عينيه. قرَّب الساعة إلى أذنِه: كان صوتها واضحا ولم يكن ينافسه في تلك اللحظة سوى دقات قلبه. إلى أين يذهب؟ أو كيف يذهب؟ استغرق اليومَ كلَّه في رسم تلك اللوحة الزاهية بألوانها البرَّاقة التي تخلب العينَ. هل كلَّفه كبيرُ شلَّتِه أن يرسمَها على حائط مكشوف في أول البلدة يجذب جميعَ الأنظارِ؟

أخذ يناوب نظرته ما بين الساعة التي يتعالى صوتها واللوحة التي بدأت ألوانُها تقلُّ زهوا، تقلُّ لمعانا. كان قد أجَّل إصلاحَ الكهرباء إلى العصر وأجَّل ردم الحفرة التي تحتل عرض الشارع إلى ما بعد إصلاح الكهرباء، وأجَّل تطهير المياه إلى ما بعد الردم. أحسَّ بالحركة والتوقُّف في الوقت ذاته. كانت ساعته تتحرك وتشير له دوما وهو ينظر إليها من حين لآخر بينما كان يرسم اللوحةَ إلى أن الوقت مازال تحت سيطرته.

عندما ينظر إلى الوقت الذي غدر به أو تمرَّد عليه أو انسحب كالبساط من تحت قدميه، يرى ظلاما دامسا، حفرةً يمكنها أن

تبتلعه، مياها قد تكون مسمومة أو ملوَّثة أو تحمل له وعودا برَّاقة زاهية بجميع الأمراض.

نظر إلى اللوحة، فلم يرَها. نظر بامتداد الشارع فلم يتبيَّن شيئا. فقط صوت الساعة التي تنافس حركتُها السكونَ وصوتُ نبضات قلبه يتباريان لرسم موسيقى تصويرية تهزم اللوحةَ الزاهية من أول جولة.

٢٦ يوليو ٢٠١٢



أرضٌ لا تُنبِتُ الأشجارَ

أتخيَّلُ نفسي قاطعَ طريقٍ على مَعْبَرٍ بين مكانين: مكان أستصلحُه ومكان أخزّنُ فيه جميع الأشياء كيفما اتَّفق. أنظر من عليائي إلى الأرض التي يراها الناس خرابا وأراها حياة في حاجة إلى يدي وعَرَقِي وقطرات دمي إذا استحكم الأمرُ. أبتسمُ وأشير إليها بيدي قائلا:

- فليكنْ اسمُها مدينة النهر.

وبمجرَّد أن أمنحها اسمها أبصِرُ بعض الكائنات التي تتسلَّلُ إلى كلِّ حياةٍ لتنهبَها. أُدْرِكُ أن الوقتَ استحكم، فأصوِّب سلاحي وأُسِيلُ دماءً كالفيروس الضاري الذي لا يصل إلى شيءٍ إلا ويحيلُه خرابًا كمصانع لا ينتفع بها أحدٌ سوي مالكيها.

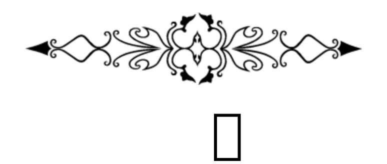
أحسُّ بالدم يلتهب في عروقي عندما أنظر إلى المكان الأول وأراه نشازا على كل شكل ولون، لا أعرف له ملامح واضحة، ولا أستطيع أن أعيد تشكيله في رأسي كي يتسق أو حتى يتنافر باتزانٍ لا يُفسدُ بعضُه بعضا.

أتخيل نفسي قاطع طريق. لكن الخيال لا يصل إلى مداه ولا أستطيع أن أقاومَ دموعا أخذتْ تتساقط كإعصارٍ عندما أتذكَّرُ وجوها روتْ بالدماء أرضا لا تُنبتُ الأشجارَ ولا تلوِّن الأعمار ولا تصبر على هدف ولا تلتف حول كلمة واحدة، فأنزلُ من



عليائي لأقفَ في عرض المعبر ولا أسمح لأحدٍ من الوجوه المتدفقة بالمرور من الباب الذي شيَّدتُه على عجلٍ بالحجارة والحديد، فلا أفتح الباب إلا لمن يغرس شجرة كي يدخل ويواصلَ العمارَ في مدينة النهر.

٦ سبتمبر ٢٠١٢





مقبرة الخراف

ظننتُه قويا وأمينا. وقَّعتُ معه عقدا على زراعة كل أرضي. اتفقتُ معه على كل التفاصيل ووقَّع على التعاقد. مرَّ يوم، يومان، أسبوع، أسبوعان، شهر، شهران، ولم أرَ نبتةً واحدة. ذكَّرته بالعقد الذي بيننا، فقال لي مبتسما:

- العقد عقدان.

وعندما شعر باستغرابي قال لي:

- أقولها للتوكيد كأن معي من العقد نسختين.

فأعدتُ عليه ذكرَ الشرط الجزائي بأنه إذا لم يزرعها كما ينبغي، لن تكون له الحقوق المنصوص عليها في العقد...

عندما عدتُ من السفر، لم أجد محصولا واحدا مما اتفقنا عليه. كانت الأرض كلها عبارة عن حشائش وكان يرعى عليها خرافه وأغنامه. قلتُ له غاضبا:

- بيننا عقد والموسم أوشك أن ينتهي.

ابتسم ساخرا:

- ألم أقل لك من قبل إن العقد عقدان. معي عقدان. أبرزْ عقدَكَ إن استطعتَ.

بحثتُ عن نسخة العقد التي معي. لم أجد شيئا. سرق العقد وجميع أوراقي. كانت الخراف حوله ذات قرون مصوَّبة. تدبَّرتُ موقفي. فلم يكن بإمكاني ساعتها الهجوم. بعد أن غربت الشمس وانصرف بخرافه للنوم، قلت:

- الحشائش تستنزف الأرض. سأحرقها. وإن جاء في الصباح لن يجد شيئا.

أطلتُ التفكير، فارتسمت على وجهي ابتسامة ماكرة تقول:

- خبثٌ بخبثٍ والبادئ أظلم.

رشَشْتُ سُمًّا على كل الحشائش حتى تكون وجبة قاتلة في الصباح...

تعمَّدتُ أن أنتظر ساعتين بعد شروق الشمس، ثم خرجتُ إلى الغيط. كان يجري يمينا ويسارا صارخا مولولا هائجا. قلَّدتُ صوت ذئب. وجدته يلقي بنفسه سريعا لينبطح أرضا كي لا يراه الذئب المسموع. هجمتُ عليه بعصاتي قائلا بصرامة:

- أخرجِ العقدَ.

بدا مذعورا يائسا. مد يده المرتعشة إلى جيبه وأخرج العقد. طقطقتُ بأسناني صوتا رافضا:

- العقد عقدان.
- لم نكتب إلا عقدا واحدا.
- عقد واحد ونسختان.

وضعتُ النسختين في جيبي، قائلا له بلهجة لا تحتمل التأويل:

- قبل الظهر تكون قد حفرت حفرة تسع لكل هذه الخراف وإلا دفنتُك حيًّا في هذا المكان.

١٥ مايو ٢٠١٣

أيام سوداء

جاء ابني إليّ باكيا:

- رسمتْ لي ابتسامة سخيفة.

أحضرتْ لي علبة الألوان. طلبتْ مني أن أحتفظ بها لها بعيدا عن أخيها. هدَّدني ابني. هدّدتني ابنتي. فتحتْ درجَ مكتبي غاضبةً. أخذ ابني يلعب بولاعة وجدها في درجِ دولاب المطبخ. قال:

- لو لمسَ أحدٌ هذه الولاعة ستكون أيامُه سوداء.

قالتْ:

- لو لمس أخي علبة الألوان ستكون أيامه سوداء.

شرعتُ أكتبَ هذه القصة وتركتُها. فكتبتْ ابنتي على هامش القصة:

- إن نشرتَها على الفيسبوك أو قلتَ إن عندي علبة ألوان، ستكون أيامكم سوداء.

جاء ابني نحوي وضم قبضتيْ يديه سويا كأنه يتوسّل لي قائلا:

- قل للناس على الفيسبوك إن...... معها علبة ألوان.

قلتُ له بطريقة مسرحية وأنا أمد يدي نحوه:

- لا يمكن أن أفشي أسرارَ الدولة.

احتبستْ دمعة في عيني ابنتي، قائلة:

- لا تقل إنني لديّ علبة ألوان.

فقلتُ لها بطريقة لا تقل مسرحية:

- مارستُ دورَ الرقيب على قصتي وحذفتُ اسمَكِ من كلام أخيكِ.

أخرجتْ علبة ألوانها من درج مكتبي وانصرفتْ.

أمسك ابني بهاتفه، طالبا مني أن أعلمه كيف يكتب "إن ...... لديها علبة ألوان". وعندما قلتُ له إنه لا يحق له أن يكتب شيئا عن أخته دون موافقتها، قال لي:

- هذا فيسي وأنا حرٌّ فيه.

انصرف غاضبا متمتما ببعض الكلمات التي لم أسمع منها سوى كلمة "القرف". عاد بعد قليل وهو يقرع الباب محاولا لفت انتباهي:

- قل للناس إن ...... لديها علبة ألوان.

نظرتُ إليه طويلا دون أن أتكلم، فتمتم بكلمات يبدو أنها أشد عنفا وخرج من مكتبي.

عاد بنظرة انتصار وهو يبتسم ويتراقص ممسكا بالهاتف. وصلني إشعار بأنه شارك صورة على صفحتي. رفعَ صورة علبة ألوانها دون أن يستطيع أن يكتب شيئا.

٢٢ أبريل ٢٠١٤



فُرَصٌ ضائعة

لم يكن هنا. أنا متأكد من ذلك تماما. لكنه عنــدما جــاء إلــى الميدان، قلنا:

- فليأخذْ فرصة، فربما جاء ليكفِّر عن سوء ظنه، وربما جاء بمطر يمحو اتهاماته المتكررة لنا على الشاشــات وفــي المجالس، ففي النهاية الميدان قلبنا النابض وسيفرح بالتأكيد بأي دماء جديدة تتقاطر عليه.

صعد إلى المنصة الوحيدة. كان أكثر ســمنة مــن المعتــاد، ضحكتُ ساخرا من الامتلاء بالجلوس أمــام الشاشــات وفــي الأستديوهات، والنحول من قلة الطعام في الميدان. قال:

- أنا من دعوتُ إلى هذا التجمُّع. أنا من زرعتُ النبض في قلب الميدان. أنا من عبَّرتُ عن نبض الجماهير.

وبالرغم من علامات الاستفهام المتحفِّزة على كــل الوجــوه، أكَّدنا:

- الميدان يسعنا جميعا، فلنعطِهِ فرصة، فربما إذا أخرج كل شحنات الكلام بداخله أو استرجع ماءَ وجهِه، يســتطيع أن يعود إنسانا وابنا محتملا لميدان يعرف كيف يجــسُّ أبجديــة النبض.

رفع رأسه بشموخ وعدَّلَ من وضع ياقته، ساعتها تكشَّفتْ لنا سمَّاعة مثبَّتة أسفل ياقته. ولا أعرف إن كانت صدفة أم لا، فما إن انتهى من تعديل وضع ياقته حتى أشار بعينه إلى كاميرا تليفزيونية كانت قد دخلت الميدان على أنها مراسلة لقناة لا تتجنَّى على الميدان. عندما أشار إليها، وجدنا المراسل يصعد المنصة ويُخرج سماعته التي تحمل شارة قناة أخرى ويسجِّل مع من يقف على المنصة:

- الجماهير الآن في ثورة. الجماهير الآن ملتهبة. الجماهير الآن يكويها الظلم، وتوقُّفُ العجلةِ يزيد نيران قلوبها الحارة.

رسم انفعالا جديدا على وجهه:

- الجماهير الآن تطالب بإخلاء الميدان. الجماهير الآن تطالبكم بالعودة للبيوت لمتابعة أخبار الميدان من أمام الشاشة.

ومع ذلك ابتسمنا، فربما كان "حواره" على هذه القناة بالذات مقصودا منه... أي شيء مقصود منه؟ ها هو يطالب بالإخلاء وقتل الثورة. أدركنا أن الجماهير التي كان يتحدث عنها هي جماهير شاشته وأنه لابد أن يخرج على الفور، فقلنا جميعا:

- فلنعطه فرصة: بإمكانه أن يسير على قدميه وينصرف، وإذا لم ينصرف يمكننا أن...

وقبل أن نكمل كلامنا، وضع يده في جيبـــه ولـــم نحـــس إلا بأجسامنا تتطاير وسط الانفجار ولم أرى شيئا إلا بعد أن بدأتُ أدرك ما حولي بعدها بأسبوع في مستشفى في ساحة فيلا ما.

١٠، ٢٥ ديسمبر ٢٠١١





لعبة حربية

شارة تعتلي برج المراقبة في مصنع حربي. تعد الأسلحة، ما يُصنع منها وما يُستورد. تقيس امتداد المدى. ترصد كل الميادين وما لها ما صدى، كأن البلاد كلها لعبة ومزاج دموي واتفاق في المجالس المُحْكَمَةِ.

شارة تعد نِسْبَتَها وسنواتها القادمة التي ترمح في المدى. تبتسم. تدور حول المصنع الحربي. تبتهل لخطط مُحْكَمَةِ. تبتسم لأياد عمياء، أياد ترتفع بالتحية والتأليه والحمل على الأعناق. ثم تأمر الشارة بإسدال الستار، وخلف الستار جدار ولباس من ألبسة المدن. تلقيه على نفسها. تتخفى به أو فيه، وتأمر برفع الستار. كل الكاميرات هنا، كل الصحف هنا. أقلام هنا. أقلام هناك. تمتلئ الشاشات بالتحية للباس. تمتلئ الشاشات بكاميرات هواتف تمتد لتلتقط صورا لها مع الشارة المتنكرة.

وفي الصباح تعلو الهتاف في الشوارع:

- اخترناك اخترناك. بدلتنا لائقة عليك. اخترناك، اخترناك. أنت الأمين والعزيز والمأمون. غيرك الممثل والمندس والمأجور. اخترناك، اخترناك، فلا للبلد عَلَمٌ سواك، ولا للقِلَّةِ مُرَبٍّ سواك.

٢٧ سبتمبر ٢٠١١



صياغة

قرأتُ البنودَ المطروحة على المجلس للمناقشة بتأنٍ. وبعدما استمعتُ إلى كل الأصوات، أخذ صوتي يتحسَّس طريقه بينها.

عندما انتهى المجلس، أمسكتُ بمَحْضَرِه وبدأت في قراءته قبل أن أوقِّع عليه. اكتشفتُ أن صياغته لم نتَّفق عليها وتعديل الصياغة اقترن بتعديل في الأفكار وفي المقترحات وفي القرارات. قلتُ غاضبا:

- لن أوقِّع على شيء.

ردَّ عليَّ رئيس القسم:

– ألن توقِّع على ما اتَّفقنا عليه جميعا؟

– من الذي اتَّفق؟ ليس هذا كلامنا وليست هذه مقترحاتنا.

– أنا لم أُعدِّل شيئا سوى الصياغة.

– كل صياغة بفكرها.

– كُفَّ عن التَّفلسُف ووقِّعْ.

– لن أوقِّع على شيء لم أقله.

أمسكتُ بالمحضر غاضبا، وكدتُ أُمزِّقه. قال لي متحديا ومستفزًّا:

- مزِّقْه. مزِّقْه.

وعندما أدركتُ أنه يخطِّط لإيقاعي في خطأ ما، قلتُ له ببرود أعصاب كأنني لم أكن ثائرا هائجا غاضبا جامحا منذ ثوانٍ:

- لن أمزِّقه ولن أوقِّع عليه.

خرج محتدًّا بالرغم من أن الاجتماع في مكتبه.

١ يناير ٢٠١١



استعراض

ابتسمَ عندما نزل من الأتوبيس ووجدني جالسا في المحطة. رددتُ الابتسامةَ بابتسامة لا أشعر بها نحوه، لكنه ابتسم وعليَّ أن أردَّ على ابتسامته بمثلها على الأقل. استغربتُ من أنه جاء نحوي ليجلس معي على المقهى، مع أنه يرفض تماما أن يجلس عليها كي لا يراه الطلاب. لم أعرف سبب تغيُّره المفاجئ إلا عندما بدأ يطرح عليَّ أسئلة عن موضوع المؤتمر الذي سينعقد في الكلِّيَّة بعد ساعة عن "علم السرد". يعرف أن رسالتيَّ في الماجستير والدكتوراه كانتا في هذا المجال.

تذكَّرتُ كم حدث مثل هذا الموقف من قبل، ولكن ونحن جالسان في غرفة مكاتبنا. كان بعدما يستمع إلى كل إجاباتي عن أسئلته ويذهب إلى المؤتمر أو الندوة يرفع يده كثيرا في المداخلات ليعقِّب أو يُداخِلَ بتكرارٍ حرفي لما قلتُه له.

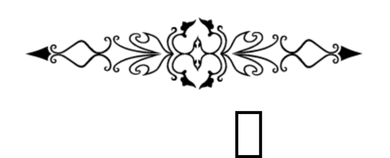
ابتسمتُ في سرِّي عندما أدركتُ ما يخطط له وأخذتُ أضلله وأقول له تعريفات وتوضيحات لا تمتُّ إلى المصطلحات التي أُعرِّفُه بها بتاتا. كنتُ مثلا أعكس تعريفيْ مصطلحين، أو أضرب مثالا لا علاقة له بالمصطلح....

تعجَّل في ارتشاف كوب الشاي عندما وجدني أشير إلى طالب نزل لتوه من سيارة الميكروباص، وانصرف على عَجَلٍ. سلَّم عليَّ الطالبُ بحرارة قائلا:

- أتمنى أن تكون قد قرأتَ قصتي التي أرسلتُها لك بالبريد الالكتروني بالأمس.

طمأنتُه، وأنا أبتسم لموهبته وأبتسم لذلك الزميل الذي سأستمتع به وهو يستعرض جهله وانتقامي أمام الجميع.

٢٠ ديسمبر ٢٠١٠



إنسان

قلتُ له بتحدٍّ واستنفارٍ:

- أَرِنِي الإنسانَ الذي بداخلك. كيف تُطلق النار على شخص لم يُؤْذِكَ؟ إن كنتَ تحتمي بهذه السُتْرَةِ فلتخلعْها ولنلتقِ إنسانًا لإنسان.

ابتسم ابتسامة ساخرة. وعندما رأيتُ أصابعه تتحرَّش بالزناد، ملتُ نحو الأرض فأفقدتني الرصاصةُ إصبعا فقط من أصابع يدي. نظرتُ ليدي بذهول وغضب كأنها لشخص آخر ولابد أن أثأر لدمه. وقف هو متعاليا بينما كان شخص من الميدان يسعفني. نظرتُ لصاحب السُترة نظرة طويلة، ثم قلتُ له بحياد تام:

- أشكرك على إنسانيتك.

صارت كل التعبيرات تتقاطر على وجهه بينما كان يقف حائرا ذاهلا يزاوج بنظرته ما بين السلاح الذي في يده وأصابع يده والشارات التي على كتفه وكأن رأسه بدأتْ تدور في كل الاتجاهات. أبصرتُ دمعة تقف أسيرة في طرف عينه. قلتُ له من جديد:

- شكرا.

وقبل أن أستدير لأتوغل في الميدان وجدته يخلع سترته ويلقي السلاح من يده نحو زملائه، ثم يقبِّل رأسي ويمسك بيدي متوغلا معي نحو أحضان الميدان.

٢٦ نوفمبر ٢٠١١





لكَ وَلِي

قال لي بنبرة جادة وواثقة:

- الجنة أرضي ونور السماء طريق مرصوف حتى الأرض.

نظرتُ إليه نظرة طويلة متسائلة، لكنه لم يلتفت إلى تساؤلي، وربما لم يفهمه، وربما أيضا يرى أنني ليس لي الحق في الأسئلة. رسمتُ علامةَ الاستفهام بيدي لتدعِّم نظرتي. لكنه بمجرد أن انتهيتُ من رسمها نظر نحوي نظرة غاضبة كأنني جسَّدتُ بها اتهاما مباشرا له وتشكيكا في يقينه، وقال محتدًّا:

– حتى أنت أيها الضال تشكِّكُ!! كلنا نعرفك ونعرف أي صنف من البشر تنتمي إليه.

وبالرغم من أنني لا أعرف مَنْ الذين يجمعهم معه في الضمير "نحن" وبالرغم من أنني نظرتُ إليه نظرة متسائلة أخرى، واصل كلامَه دون أن يعبأ بنظرتي أو يرد على سؤالي:

– كل ما تقدر عليه هو أن تشكِّكَ في عقيدتنا.

استبشرتُ أخيرا، فها هو ضمير الجمع يتحوَّل إلى قاسم مشترك بيننا، فعقيدته هي عقيدتي. نظرتُ إليه هذه المرة نظرة مباشرة بدون تساؤل وطرحتُ عليه السؤال:

– وهل يشكِّكُ أحدٌ في عقيدته هو شخصيا؟

لم يرد على سؤالي، وأخذ دوره في النظر طويلا نحوي، ولكن نظرته كانت تكتسي بالتعالي. ساعتها سألته مباشرة:

- أين كُتبي التي استعرتَها ولم تُرجعها؟ أيـــن نقـــودي التـــي اقترضتَها ولم تسددها؟ أين اعتذارك على ما أخطأتَ به فـــي حقي؟

ردَّ على أسئلتي ببرود شديد:

- عندما تتبعني ستأخذ كل حقِّكَ.

فنظرتُ إليه نظرة جوَّالة من أعلى لأسفل ومن أسفل لأعلـــى، من يمين لشمال ومن شمال ليمين، وقلتُ له بحسم:

- لك عقيدتك ولي ديني.

١ ديسمبر ٢٠١١





نهر مشتبه فيه

لحظة صمت ينكسر بعدها طبق أو قُلَّـــةٌ، كـــأن شـــظاياه أو شظاياها تجمَّعت وتحوَّلتْ إلى جسم عُـــودٍ وتحـــوَّل صـــوت الانكسار إلى أوتار. تمتد يدُ النهر من تحتي وأنا أقـــف فـــوق كوبري قصر النيل لتعزف انكسارا بانكسار، حزنا بحزن.

مناظر لا تفارق أذني. أرى القنابل المسيِّلة للـــدموع خلفـــي. مصفَّحات تدهس. خراطيم مياه تتكسر على الصدور المُرهِبَةِ. يعزف النيل ويتحسَّس خيوطا تنفلتُ من قلبي لتحاول أن تلتحم بالأوتار إلى أن تنبتَ وتلينَ يدُ النهر، فتنساب الـــدموع كأنهـــا تجري متلهِّفة للارتماء في حضن مائه. أحسُّ برزاز الماء كأنه تصاعد فيما يشبه النافورة وأخذ يدثِّرني ويزمِّلنـــي، ويـــدي لا تقوى على حمل العود ولا تقوى على مصافحة النهر، أو أنها تترك نفسها في يده كحمامة لا يفترسها ولكنها تحسُّ بالسكِينَةِ، ولا أدري سببا لماذا أرى خيوط العنكبوت تتجمع حولي كأنني خارج المشهد تماما، وكأن دموعي تضيع سُدى، وكأن النيـــل بقدرته لا يقوى على أن يثور مرة واحدة ليعصف بمـــا يثقـــل على قلبي وقلب الأرض وقلب نهار يريد أن يتنفس.

أحسُّ بالانقباض بالرغم من أنني أجد يدا تُزيل مـــن حـــولي خيوط العنكبوت، لكنها تنتزعني من النهر وتلقي بي في فوهة

سيارة لأنني خالفت الطوارئ، ولأنني أثير الشكوك بوقفتي على النهر، ولأنني أُسِرُّ بأشياء لأشخاص مُشْتَبَهٍ فيهم على صفحة النهر.

٣٠ سبتمبر ٢٠١١





انتقام مرآة

قالت له المرآةُ:

- قسوتك مفرطة وجُرمُكَ بيِّنٌ. كيف تنظر إلـيَّ الآن بوجه لا يكشف شيئا؟ أتخبئ ملامحك عني؟ أم أنك لا تعرف أنني عرفتُ سرَّكَ من تليفزيون تركتَه مفتوحا، من نبرة لك أعرفُها عندما تكذب، من صوت محايد يكشف تلطُّخ يديك، من كلمات ثناء أعرف أنك تقصد عكسها؟ اجبْني. لماذا كل هذا الخداع لي؟

تحسَّس الشارات على كتفه. لوى وجهه يمينا ويسارا لينظر إليها ويتأكد من لمعانها. رفع رأسه. نظر إلى المرآة بثقة وانتشاء وبنظرة حالمة كأن الغد يحمل له ثمانين عاما أخرى فوق عمره.

نظرتْ إليه المرآة بعتاب. وعندما نظر إليها ببرود أرجعتْ جلده المشدود إلى أصله. لم تُظْهِرْ عدسات عينيه. خلعتْ الشارات من على كتفيه. جرَّدتْه من الأربطة التي يشدُّ بها جسمه. فعاد كما كان كأنه يتوكأ على عصا لا تسنده ويكاد يقع على الأرض. لكن المرآة أظهرت الغضب الذي هجم على وجهه عندما أظهرتْ صورته على حقيقتها. فما كان منه إلا أن أخرج مسدَّسه وصوَّبه نحو المرآة التي تكسَّرتْ أمامه إلى



عشرات القطع، وكل قطعة تظهر له ملمحا يشعل الغضب في وجهه من جديد، فأخذ يصارع تلك الوجوه التي تغضبه إلى أن تقطَّرتْ آخر قطرة من دمه.

٢٥ نوفمبر ٢٠١١



قطرة الدم الواحدة

بينما كنا في الميدان ننتظر هجوما متوقَّعًا، كان البرد يواصل هجماته كأنه يختبر قدرة أجسامنا على التحمُّل أو يدرِّبنا على شتاء لم ينتصف بعد ولم يبدأ رسميا حسب التقاويم. انقطعتْ الكهرباءُ فجأة عن الميدان والشوارع التي تصبُّ فيه. بتلقائية شديدة أشعلتُ عودَ ثقاب قد يدسُّ بعض دفئه في جسمي وقد يُخزي عينَ الكهرباء بنوره وسط الميدان. قبل أن تلتهمَ النارُ العودَ وتصل إلى يدي ألقيتُه على الأرض...

كان منظرا مهيبا وغريبا ومفاجئا لم أستوعبه ولم أستطع أن أجد له تفسيرا، فلقد سقط عود الثقاب على الدماء التي سُفِكَتْ على أرض الميدان في الصباح، وأشعلَ نارا تجمع ما بين الصُفرة والخُضرة كأنها تبتسم، كأن نورها ابتسامةُ وعدٍ. كانت نارا بطيئة متواصلة وكأن قطرة الدم الواحدة قادرة على بث الدفء في المرابطين كلهم.

بدأت النار تصدر صوتا. لم يكن صوتَ طقطقة عيدان حطب مثلا، ولكنه تحوَّل تدريجيا إلى موسيقى جنائزية تحيط الميدان كله بهالة من الجلال والسَّكِينَةِ. طالبتْ بعضُ الأصوات بإطفاء النار:

- لا يجوز أن نحرق الشهيدَ.

ردتْ عليها أصواتٌ أخرى:

- الشهيد حيٌّ. هذه الموسيقى عَزْفُهُ. ربما كان الصوت الجنائزي أغنيةَ عملٍ تشجِّعنا ولكن بلغتها الخاصة.

انسابت الدموعُ من جميع العيون، وكل دمعة تخرج تترك مكانها جرعةَ حماس وجرعةَ أملٍ وجرعةَ تحدٍّ، كأن شهور البرد أثمرتْ. لم أكن أعرف من قبل أن الدموع تقوِّي العزيمة، تجدد الإرادة، تبعث الأمل في الحياة. كنتُ أظنُّها مطهِّرةً، تخمد الجسمَ وتدعو إلى السكون. لكنني أحس بها الآن تنشِّط الجسمَ، وتدعو إلى إكمال الثورة، وتحقن الإرادةَ بنور مستقبَل نراه يحلِّق فوق سماء الميدان وكأنه يتراقص أو يزغرد أو يضع حولنا جدارا واقيا. وسرعان ما تفتَّقتْ عبقرية الميدان عن خطة ماكرة:

- ها هي النار بنورها كأنها الحريق، ها هي الموسيقى كأنها الصراخ، فلننسحبْ إلى حواف الميدان ليُسرع المهاجمون المرتَقَبون إلى الميدان، فلابد أنهم سيظنون أن حريقا التهمه، أن الهجوم الآخر من الجهة الأخرى أجهز على نصفه على الأقل، ولابد أن يسارعوا هم ليجهزوا على ما تبقى منا.

فانسحبنا إلى أطراف الميدان ككماشة تستطيع أن تحاصر في بطنها كل من يفكر في أن يقترب.

لم تمضِ سوى دقائق حتى بلع المهــاجمون طُعْــمَ الميــدان، وتدفقوا ببغــالهم وحميــرهم وجمــالهم وقنــابلهم وغــازاتهم وخرطوشهم ومطَّاطِهم. وما إن اقتربوا من النار حتى انطفأتْ لتنهال عليهم حجارتنا من كــل مكــان وتتحــول الموســيقى الجنائزية إلى أغان وطنية تُلهب حماسَ الأيدي وتزرع فيهــا عيونا تعرف كيف تصيب مهاجِمًا وكيف تُفزع بغلا أو جمــلا أو حمارا، فيلقي بمن عليه ويدهسه وينطلق.

٢ ديسمبر ٢٠١١





جواز سفر

أنظرُ من نافذة المجمَّع على ميدان التحرير، انتظـــارا لـــذلك المدير الذي خرج من مكتبه في نهار رمضـــان لا أدري إلـــى أين. أتعرف مكانه؟ قل لي إذا عرفت، رجـــاءً. أرى القـــوات تتدرَّب على وضع الاستعداد كأنها قوات صاعقة نزلت لتوهـــا بالباراشوت على الميدان أو كأنها تستعد لحرب أو كأنها احتلت الخضرة والنافورة وحوض الياسمين، احتلت المنصاتِ التـــي كانت والنُّصُبَ التي رُفِعَتْ وبصماتٍ كانت هنا. تحيط الميدان بأكمله بكردون لا يسمح لأحد أن يدخله سوى السيارات العابرة على طريقها بعيدا عنه.

المدير لا يأتي وذلك الموظف لا أدري إن كان يتلذذ بالتعذيب أم أنه هكذا لم يسمع ما كان يدور في الميدان من قبل ويبدو أنه لم تتفتح أذناه إلا الآن على أصوات الجنود الزاعقة اســـتعدادا في الميدان. ها هو لا يعترف بجواز سفري القديم ولا يعترف بجواز سفر زوجي ولا بعنواننا في ذلك الشارع المتفرع مـــن ميدان التحرير. يقول إن عنواني في بطاقة الرقم القومي عنوان في الأقاليم، ولابد أن أعود إلى هناك، لابد أن يحمـــل جـــواز سفري عنواني القديم: ليس عنوان التحرير ولا عنوان زوجي

ولا عنواني، ولابد أن يحمل أطفالي عنوانا لا يعرفونه أصلا.
أقول له:
- ها هي صورة جواز سفر زوجي، صورة بطاقته وأصلها.
هو في الغربة ولا يستطيع الرجوع الآن. سنجدِّد جوازاتنا ونعود إليه.
لكنه يصرُّ على أن هذه ليست مسئوليته وأننا لا مكان لنا في هذا الميدان، ولا في أي شارع متفرِّع منه، وعلينا أن نعود إلى عناوين نسيناها ونستنا، عناوين هجرناها وهجرتنا، عناوين لا نعرف شيئا الآن عن نبض مكانها ولا عن نبض زمانها. وما ذنبي أنا إن كنتُ دفعتُ رسوم تغيير العنوان مرتين قبل سفري منذ سنوات وفي كل مرة يطبع لي الموظَّف البطاقةَ بالعنوان القديم ذاته؟
تثور أصوات الجنود بالأسفل. ينفعل الموظف عليَّ. لا يأبه بتوسلاتي التي تحوَّلتُ إليها، ولا يعبأ بمنظر أطفالي الذين لم يستكملوا نومهم، ولا يعبأ بأوراقي الرسمية، وكأنه يريدنا أن نهجر شقتنا بالقرب من الميدان، أو نتركها لأولئك الهادرين بالأسفل.

تنطلق أصوات رصاص لتفجِّر المدى والميدان. يلقي الموظف بجواز سفري في وجهي، فلا المدير سيعود اليوم ولا يقبل هو أن يتحمَّل مسئولية مهمته.

يختلط صوت الجواز المتدحرج على بلاط الطُّرقة بأصـــوات الرصاص وساحات المتفاخرين أسفل المجمَّع. فأحضن أطفالي وأصعد إلى أعلى المجمَّع لأصورِّ بهاتفي ما يدور في الميدان دون أن ينتبه لي أحد أو يسحب مني هـــاتفي عنـــوة، دون أن تصل رصاصة إلى أطفالي أو يشمت بي موظَّف يحـــاول أن يطردني من عنوانِ تحريري.

أصورِّ فوارغ الرصاصات التي أرعبني تواجدها أعلى المجمَّع ثم أسلِّط كاميرتي على الميدان، تائهة بين شقة أراها على البعد لا يعترف بها الموظف ودماء تئن في صـــباح العاشـــر مـــن رمضان على الأسفلت أسفلي وعنوانٍ في إقليم فارقته منذ عشر سنوات ومات شاغلوه، دون أن أستطيع أن أحدِّد لي جذرا ولا أفقا.

١٣ أغسطس ٢٠١١





مُرْجَمٌ

أسرعَ إلى المنصة. لم يستطع أن يصعد إليها. تجمعت الأصوات كلها مرة واحدة:

- لا يوجد مكان.

قال بصوته الذي بدأ يضعف:

- لا أريد أن أقف تحت المظلة. أريد أن أصعد إلى المنصة.

- ليس هناك مكان.

- أعطوني مكبِّر الصوت إذن.

استغربتُ من أنه يريد مكبِّر الصوت في هذا التوقيت. فحتى الأغاني التي تنبعث من أجهزة التسجيل توقفت وكأنها تخشى الحرارة مثلنا. صحيح أنني أحس بتشويش في عيني لا أدري إن كان من الحرارة أم من الغداء الذي أكلناه أنا وهو سويا منذ ساعة أم من قلة هذا الغداء في حد ذاته. لا أعرف إن كان من شبعٍ أم جوعٍ أم حرارةٍ.

أخذ يدور تحت الشمس كأنه خارج لتوِّه من محرقة أفراح. وشرع يقول:

- أيها الناس، المنصة المنصة. اليوم يوم رجوع، والغد تنكَّر لناظره. اليوم بيادات تدق رأسي، وملابس رسمية تعرِّيني، وتنفخ الحماسة في أيادي المارة لتصفعني في الذهاب وفي

العودة، كأنني مَرْجَمٌ يتطهَّرون فيه، أو يثبتــون بــه ولاءهــم للأزياء، أو يؤدون واجبا، كفتاةٍ صرخت مســتنجدة فتصــارع الكل ليضربوا من بالقرب منها دون أن يعرفوا سببا أو يتحقَّقوا من شيء.

كاد يسقط. كان مغمض العينين. ألقى مكبِّر الصوت من يــده وأخذ يجري، أو بالأدق، كان يود أن يجري، لكن قدميــه لــم تطاوعاه، فسقط على الأرض لتفيق العيــونُ مــن ســكرتها، ويسارع بعض الواقفين تحت مظلة المنصة بالقرب منه إليــه، ويفسحوا له مكانا بإنزال بعضهم إلى أن يجيء الطبيــب مــن المسجد المجاور، بينما علت أصــوات الآخــرين بالهتافــات الحماسية كأن اليوم في بدايته.

١٠ أغسطس ٢٠١١





صورة واحدة تكفي

يحاول جاهدا أن يحرك خيوطها، أن يستدرجها إلى الوضع الذي يريدها فيه. لكن يبدو من تشبُّثها بوضعها أنها ليست دمية كما يظن، فها هي تتمرد عليه: كلما شد خيطا في جهة تحركتْ هي إلى الجهة الأخرى، كأن الخيوط لا تربطها، لا تشدها، لا تعني لها شيئا. يقف هو حائرا، ويتصبب العرق من جبينه ويبدو أن يده ذاتها تعرَّقتْ، فها هو يخرج منديلا من جيبه ويمسح به باطن يديه، ثم يعاود الشدَّ.

يبدو أنه بدأ يركِّز كل قوته في يديه حتى يستطيع أن ينقلها خطوة واحدة نحوه. ويبدو أنها هي أيضا تستجمع قوتها لتجذبه وتجذب خيوطه نحوها، وكلما شدَّتْ، تبدأ ملامحها في التشكُّل، كأن الدمية قطعة صلصال مرنة: شَرعَتْ عيونُها تُظْهِرُ ملامحَها، ونظرتها أصبحت حادة صافية مليئة بالعزيمة والاستبشار. وها هو لسانها يتشكَّل ويتحرَّك وتخرجه لتكايد به ذلك الذي يركِّز همَّته كلها في حركة يديه لكي يلغي حركتها وإرادتها وعزيمتها وكل ذلك الإصرار في عينها وروحها الوليدة.

تحوَّل المشهد على خشبة المسرح إلى حقيقة أو امتزج بالواقع، فها هو شاب يخرج من بين الجمهور وتنهض في الوقت نفسه

شابة من مقعد بعيد نسبيا ويتجهان نحو "الدمية"، لكنها تخـرج الخيوط من إحدى يديها وتجمِّعها في اليد الأخرى وتشير إليهما بأن يتركاها تنتزع الخيوط وتبيد من يشدها بنفسها، فهي ليست بحاجة إلى أحد. تقول لهما:

- كل ما أحتاجه موجود داخلي: قوة تصحو أستخرجُها مـن ينابيع روحي، أستخرجُها من عناد ذلك الذي يظنني دميـة، أستخرجُها من رغبتِكما في الحياة، أستخرجُها من محـاولاتٍ مستميتةٍ لأن تصوِّرني قطعة ديكـور بـلا روح، محـاولات تصوِّرني دمية لا شأن لها سوى أن يحرِّكهـا رجـل ليسـلِّي جمهورا ويقبض الثمن.

أغمضت عينيها كأنها تستعدُّ لتشغيل موتور مياه يسـتطيع أن يجمِّع كل ما في روحها من عزيمة ورغبة فـي الحيـاة فـي حوض يديها. سحبتْ نفسا عميقا كاد يشفط الخيوط ومحرِّكَهـا أو من يظن أنه محرِّكُها. كوَّرت يديها وفي لحظة واحدة بـدأ ذلك "المحرِّك" يتحرَّك كأنه طوبة في مقلاع، وعنـدما فتحـت عينيها، وجدناها تقذفه هو وخيوطه من السقف كأن قوَّةَ قـذفِها له فتحتْ ثُقبا في السقف ليندفع منه هو وخيوطه إلى حافة العدم والنسيان. أخذتْ تصفِّق لنفسها والدموع تتساقط منها ولا تعكِّر البسمة التي على شفتيها.

قام الجمهور كله وأخذوا يصفقون، وبدءوا يصعدون نحوها الواحد تلو الآخر كأنهم سيلتقطون صورة جماعية معها. جلسوا جميعا في وضعية التصوير. وبمجرد أن أضاء الفلاش، انسحبتْ هي بعيدا عن خشبة المسرح وجلست على كرسي من كراسي المشاهدين تشاهد كيف سيستخرج كُلٌّ منهم إمكاناتِ روحِهِ على مسرح الحياة.

ولكنها عندما أطالوا وقفتهم في وضعية التصوير ولم يفعل أي منهم شيئا سوى الوقوف، نهضت خارجة من المسرح برمَّته لتستمتع بأنفاسها الوليدة في الهواء الطلق وتتدبر خطوتَها التالية.

٣٠ سبتمبر ٢٠١١





عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد (جمال الجزيري) في ٢ أغسطس ١٩٧٣ بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر وروائي ومترجم وكاتب مسرح وناقد ودكتور جامعي. بدأ مشواره الأدبي في عام ١٩٩١. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج ١٩٩٥. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة ١٩٩٨عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر١٩٣٦ – ١٩٦١"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام ٢٠٠٢ عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف ١٩٦٧ – ١٩٨٧". يعمل منذ عام ١٩٩٩ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. بدأ نشر دراساته النقدية في عام ١٩٩٩ بدراسة بعنوان "مشروعية دراسة عتبات النص"، وبدأ نشر كتبه الأدبية في عام ٢٠٠١ بمجموعته القصصية فتافيت الصورة، وقبلها بدأ نشر كتبه المترجمة عن اللغة الإنجليزية في المشروع القومي للترجمة

(المجلس الأعلى للثقافة، مصر) ثم في المركز القومي للترجمة، ومنذ تلك السنوات توالت أعماله في فروع القصة والترجمة والشعر والنقد الأدبي والرواية والمسرح، بالإضافة إلى كتبه ودراساته باللغة الإنجليزية. وحصل على عدة جوائز في القصة القصيرة والشعر والنقد الأدبي والرواية.

وقام في يناير ٢٠١٤ بتأسيس مجموعة سنا الومضة القصصية على الفيسبوك بالاشتراك مع الأستاذ عصام الشريف (مصر) والأستاذ عباس طمبل (السودان)، وهي مجموعة تعنى بشئون الومضة القصصية نظريا وتطبيقيا ونقدا وإبداعا. كما قام في شهر مايو ٢٠١٤ بتأسيس دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني. وقام في أكتوبر ٢٠١٥ بتأسيس دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني مع الأديب محمود الرجبي

نشر أكثر من مائة كتاب وعشرات الدراسات والمقالات ورقيًّا وإلكترونيا منذ نهاية تسعينات القرن الماضي حتى عام ٢٠١٧

البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com

رابط الصفحة الشخصية على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/gamal.elgezeery

رقم الهاتف: ٠٥٣٢١٠١٥٤٤ (السعودية) ٠٥٩٤٠٩٠٣٢١ (السعودية)

جــــــوائــــــز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي ١٩٩٥

* المركز الثالث في القصة القصيرة، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٦ – ١٩٩٧ عن مجموعة بعنوان **أساطير**.

* المركز الثالث في النقد الأدبي، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة ١٩٩٩ – ٢٠٠٠، عن دراسة بعنوان **الرؤية الحضارية للإبداع عند شكري عياد**.

* جائزة ناجي نعمان الأدبية لعام ٢٠٠٩ (جوائز الإبداع) عن ديوان شعر بعنوان **وطن بطعم الأسئلة**.

* تنويه لجنة التحكيم في الدورة السادسة لجائزة دبي الثقافية للإبداع (٢٠٠٨-٢٠٠٩) بمجموعة قصصية له بعنوان **وجوه الطمي**.

* جائزة عبد الغفار مكاوي للقصة القصيرة ضمن جوائز اتحاد الكتاب (مصر) ٢٠١٠، عن المجموعة القصصية غلق المعابر.

* وسام التميُّز من الدرجة الأولى في القصة القصيرة في العالم العربي لعام ٢٠١٠ عن المجلس العالمي للصحافة عن قصة بعنوان "الرئيس الجديد".

* جائزة الدكتور زكريا الملكاوي في الشعر عن قصيدة بعنوان "امتلاء"، أبريل ٢٠١١.

* جائزة منف للرواية العربية الإلكترونية ٢٠١٧ عن رواية بعنوان "بعد الطوفان"

إصداراته:

أصدر أكثر من مائة كتاب ورقيا وإلكترونيا وعشرات البحوث والدراسات منذ نهاية تسعينات القرن العشرين حتى الآن.

ومن كتبه المنشورة ورقيًّا:

١- **القصة**: فتافيت الصورة (٢٠٠١)؛ بدايات قلقة (٢٠٠٤)؛ نقوش على صفحة النهر (٢٠٠٩)؛ غلق المعابر (٢٠١٠)؛ رائحة مأتم (٢٠١٠)؛ اشتعال الأسئلة الخضراء (٢٠١١)؛ الطريق إلى الميدان (٢٠١١)؛ كاميرا ونظرة عين (٢٠١٧)

٢- **الشعر**: لا تنتظر أحدًا يا سيد القصيد (٢٠٠٩)؛ حفل توقيع (٢٠١٠)؛ ونظل على الإشراق (٢٠١٠)؛ أصوات نهر قديم (٢٠١٠)؛ خارطة المطر (٢٠١٠)؛ أسفار سيدة النهر (٢٠١١)؛ ميدان المرايا (٢٠١١)؛ بنت النهار (٢٠١١).

٣- **النقد الأدبي**: الحوار مع النص: جماعة بدايات القرن نموذجا (٢٠٠٢)؛ الإبداع والحضارة عند شكري عياد (٢٠١٠)

٤- **الترجمة**: أسطورة بروميثوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (٢٠٠١)؛ أقدم لك..الذهن والمخ (٢٠٠١)؛ سحر

مصر للرحالة الإنجليز (٢٠٠٢)؛ أقدم لك ... كافكا (٢٠٠٣)؛ أقدم لك... تروتسكي والماركسية (٢٠٠٣)؛ أقدم لك ... فرويد (٢٠٠٣)؛ أقدم لك... بارت (٢٠٠٣)؛ اليهودية أيديولوجية قاتلة: التاريخ اليهودي وسطوة ثلاث آلاف سنة (٢٠٠٣)؛ أقدم لك... علم العلامات (٢٠٠٥)؛ أقدم لك ... الحركة النسوية (٢٠٠٥)؛ أقدم لك ... ما بعد الحركة النسوية (٢٠٠٥)؛ أقدم لك... القتل الجماعي (المحرقة) (٢٠٠٥)؛ أقدم لك... التحليل النفسي (٢٠٠٥)؛ أقدم لك... النظرية النقدية (٢٠٠٥)؛ موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الرابع: القرن الثامن عشر. المجلد الأول (٢٠٠٦)؛ السيد: رواية (٢٠٠٦)؛ موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي. الجزء الثامن: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية (٢٠٠٦)؛ معجم دراسات الترجمة (٢٠٠٧)؛ موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي: المجلد الثالث: عصر النهضة (٢٠١٥)؛ موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي: المجلد الرابع: القرن الثامن عشر: الجزء الثاني (٢٠٠٩)؛ الأوصاف التجسيدية لله: مفهوم الله في التراث اليهودي والمسيحي والإسلامي: تمثيل ما لا يمكن تمثيله (قيد النشر ٢٠١٨)؛ المُراقِبُ مُرَاقَبًا: حالة الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية (قيد النشر ٢٠١٨)

٥- **مراجعة ترجمة:** فندق الأرق (٢٠٠٤)؛ وجه أمريكا الأسود وجه أمريكا الجميل: مختارات من الشعر الأفروأمريكي (٢٠٠٥)

٦- **كتب نقدية بالإنجليزية:**

- Narrative Aspects of Roger McGough's Poetry 1967-1987: A Study of the Intersection of Poetry with Fiction (2011); Human Objectification in Carol Ann Duffy's The World's Wife (2014); Little Red Riding Hood: From Orality to Carol Ann Duffy (2014)

٧- **روايات:** بعد الطوفان (فائزة بجائزة منف للرواية العربية الإلكترونية وقيد النشر في بداية ٢٠١٨ في دار الياسمين)؛ شوط أول: ست روايات قصيرة (قيد النشر في الهيئة العامة المصرية للكتاب)؛ طيور تكتم أنفاسها (قيد النشر في الهيئة العامة المصرية للكتاب)؛ محاولة إخراج (قيد النشر في الهيئة العامة المصرية للكتاب)

ونشر عشرات الكتب الإلكترونية في مجال الرواية والقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا والومضة القصصية والشعر والهايكو والهايبون والمسرح والنقد الأدبي والترجمة والدراسات اللغوية.

فهرس

